تأليف
فضيلة الشيخ العلامة
محمد خليل هراس

غربة الإسلام

« بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء »

دار الإمام أحمد

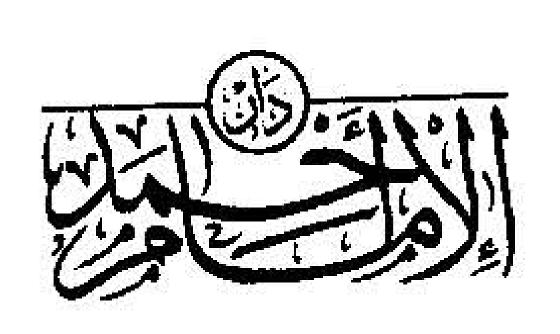
الطبعة الأولى لـ :

دار الإمام أحمد
للنشر والتوزيع والصوتيات

١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

٤٨٩١ / ٢٠٠٧م



٦ شارع عزيز فانوس - منشية التحرير - جسر السويس - القاهرة

هاتف : ٠٠٢٠٢/٢٤١٤٢٤٨ تليفاكس: ٠٠٢٠٢/٦٣٦٥٦٣٨ جوال: ٠٠٢/٠١٠٦٠١٤٩٧٨

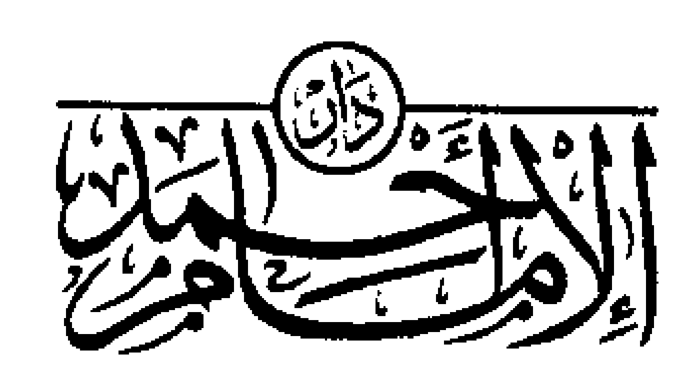
E-Mail:Dar Alemam_Ahmad@yahoo.Com

غربة الإسلام

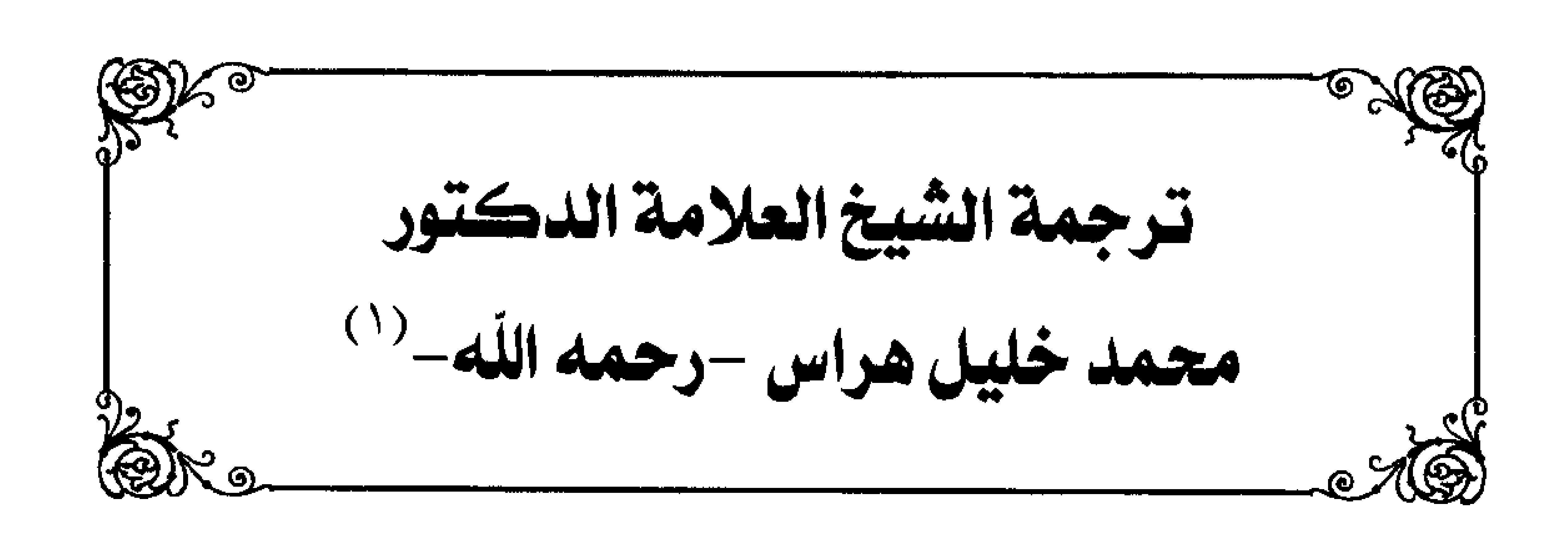
تأليف

فضيلة الشيخ العلامة

محمد خليل هراس



بسم الله الرحمن الرحيم



ترجمة الشيخ العلامة الدكتور محمد خليل هراس -رحمه الله-[(١)]

اسمه ومولده: وهو محمد خليل هراس، ولد في بلدة الشين -كفر الشيخ- عام ١٣٣٥هـ - الموافق ١٩١٥م[(٢)].

نشأته وتعليمه: نشأ الدكتور محمد خليل هراس نشأة دينية إذ تلقى تعليمه الأول في المدارس الأزهرية عام ١٩٢٦م، ثم التحق بكلية أصول الدين جامعة الأزهر ، ودرس بها إلى أن تخرج عام ١٩٤٠م حاصلاً على الإجازة العالية.

التحق بقسم الدراسات العليا إلى أن نال شهادة الدكتوراه عام ١٩٤٥م، وكان موضوع رسالته: «**ابن تيمية ورده على مذاهب المتكلمين**»[(٣)].

ومن هنا يظهر أنه اعتنق مذهب السلف من وقت مبكر، أي قبل إكماله مراحله التعليمية.

---

(١) هذه الترجمة مأخوذة من كتاب: «**جماعة أنصار السنة المحمدية، نشأتها-أهدافها-منهجها-جهودها**» إعداد/ د. أحمد محمد الطاهر، بتمامها ، انظر (ص١٩٢-٢٠١)، وهو ضمن سلسلة الرسائل الجامعية (٣٠) ضمن مطبوعات جماعة أنصار السنة المحمدية بالقاهرة - الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

(٢) انظر مجلة التوحيد، العدد الأول محرم ١٤١٧هـ، السنة الخامسة والعشرون (ص٥٧).

(٣) انظر مجلة التوحيد، العدد الأول محرم ١٤١٧هـ، السنة الخامسة والعشرون (ص٥٧).

وظائفه: عمل الشيخ محمد خليل هراس بعد تخرجه مدرسًا في المعهد الديني بالزقازيق، وبعد نيله درجة الدكتوراه شغل وظيفة التدريس بكلية أصول الدين -جامعة الأزهر- فقد كان أستاذًا للعقيدة والفلسفة بها.

تولى رئاسة جماعة أنصار السنة المحمدية بالزقازيق، ثم ترأس فرع الجماعة بطنطا بعد تكوينه لها.

تم اختياره نائبًا للرئيس العام لجماعة أنصار السنة المحمدية بمصر الشيخ عبد الرحمن الوكيل، وذلك في اجتماع الجمعية العمومية المنعقدة في ١٥ محرم ١٣٨٠هـ الموافق ٩ يوليو ١٩٦٠م.

تولى رئاسة جماعة الدعوة الإسلامية بالغربية بعد أن أسسها مع الدكتور عبد الفتاح إبراهيم سلامة[١] في عام ١٣٩٣هـ الموافق ١٩٧٣م[٢].

انتدب للتدريس في كلية الشريعة بمكة المكرمة، وظل سبع سنوات، وأنشأ فرع العقيدة بقسم الدراسات العليا وأصبح رئيسًا لهذا الفرع إلى حين وفاته، وقد حدثت معارضة شديدة من الأزهر عند إعارته للمملكة العربية السعودية، إلا أن الملك فيصل -رحمه الله- طلبه بإلحاح، ثم تدخل معالي الفريق عبد الرحمن أمين

---

(١) **عبد الفتاح إبراهيم سلامة**: ولد بمدينة طنطا في ٢٢/ ٤/ ١٩٣٨م، تدرج في مراحل التعليم إلى أن حصل على الدكتوراه عام ١٣٩٩هـ، عمل في الأوقاف المصرية والليبية والجامعة الإسلامية بالمملكة العربية السعودية، توفي في ٢٩ شوال ١٤١٨هـ.
انظر مجلة التوحيد، العدد الثاني عشر، ذو الحجة ١٤١٨هـ، السنة ٢٦، (ص٥٨).

(٢) انظر مجلة التوحيد، العدد الثاني عشر، ذو الحجة ١٤١٨هـ، السنة السادسة والعشرون، (ص٥٩).

يومئذٍ فوافقت الدولة على إعارته.

والسبب في الاعتراض، حمله بقوة لواء السلفية ومحاربته منهج المتكلمين والفرق الضالة[١].

مكانته العلمية: تبوأ الدكتور محمد خليل هراس مكانة علمية متميزة فقد عُرف في الأوساط العلمية بمعرفته الدقيقة للعقائد والفرق الكلامية، والمذاهب الفلسفية الغربية منها والشرقية، فقد كان منهجيًّا في بحثه دقيقًا في تناوله مرتبًا في عرضه، ذا إحاطة تامة بالموضوع الذي يريد إبرازه، كان فريدًا في حل المعضلات، وتجلية الغوامض من المسائل، وتوضيح القضايا والمسائل المعقدة، كان ذا نَفَس طويل في بيان الحق وعرض الأدلة وتعميق المفاهيم وإفحام الخصوم، وقد عُرف ذلك من محاضراته التي كانت تستغرق الساعات، وكتاباته وأدائه في حجرة التدريس[٢].

قال الشيخ عبد الرزاق عفيفي في مقدمته لكتاب «شرح العقيدة الواسطية»:

«... فكتاب الشيخ محمد خليل هراس من أنفس الشروح وأوضحها بيانًا وأخصرها عبارة»[٣].

وقال الشيخ أبو الفداء السيد عبد المقصود بن عبد الرحيم الأثري في مقدمته لكتاب: «فصل المقال في نزول عيسى وقتله الدجال» تأليف الدكتور محمد خليل هراس:

«وقد أحسن المؤلف صنعًا بالرد على من قال بهذا القول -أعني: رد ما صح

---

(١) انظر المرجع السابق (ص٥٧).

(٢)انظر المرجع السابق (ص٥٨).

(٣) الطبعة الرابعة، مؤسسة مكة للطباعة والإعلام (ص٢).

عن رسول الله ﷺ في ذلك -ونجد ذلك في هذه الرسالة الصغيرة الحجم؛ لكنها جمعت الأدلة وردت على الخصوم، فرحم الله مؤلفها وجزاه عن الإسلام خيرًا»[١].

وقال ناشر كتاب «دعوة التوحيد أصولها، الأطوار التي مرت بها ... مشاهير دعاتها» عبد الفتاح الزيني: «والدكتور محمد خليل هراس وهو رئيس قسم العقيدة والفلسفة بجامعة الأزهر، وداعية من دعاة أنصار السنة في مصر، لجدير به أن يؤلف مثل هذا الكتاب، وكم من محاضرة وقد استمعت إليه شخصيًّا فيها، واستفدت منها الكثير...، وكان يبين التوحيد الذي دعت إليه الرسل، ورأيته -رحمه الله- في آخر حياته ينافح عن السنة، ويرد على الذين يردون أحاديث البخاري ومسلم بما استحسنته عقولهم؛ فرحمه الله رحمة واسعة، وسائر علماء المسلمين»[٢].

وقال الشيخ علوي بن عبد القادر السقاف في ترجمته للشيخ خليل هراس: «كان -رحمه الله- سلفي المعتقد، شديدًا في الحق، قوي الحجة والبيان، أفنى حياته في التعليم والتأليف، ونشر السنة وعقيدة أهل السنة والجماعة»[٣].

جهوده في نشر عقيدة السلف: عاش الدكتور محمد خليل هراس حياة علمية حافلة بالتضحيات والجهاد من أجل إرساء المنهج العدل والمذهب الحق، وتوطيد

(١) الطبعة الثانية، الدار السلفية لنشر العلم، (١٤١٣هـ، ١٩٩٣م)، (ص٤).

(٢) الطبعة الأولى، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة (١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م)، الناشر: مكتبة ابن تيمية، (ص٥).

(٣) شرح العقيدة الواسطية، ضبط وتخريج: علوي عبد القادر السقاف، الطبعة الثالثة، دار الهجرة للنشر والتوزيع، الرياض (١٤١٥هـ، ١٩٩٥م) (ص٤٢).

الدعوة السلفية، كما عمل على محاربة الشرك والبدعة، والفرق الضالة، والمذاهب الهدامة، والأفكار المنحرفة، ولقد سخر في تحقيق ذلك كل الوسائل واستفاد من كل المجالات التي أتيحت له من خلال التدريس في المعاهد والكليات، وإقامة المحاضرات العامة، والكتابة في مجلة الهدي النبوي، وإصدار الكتب والرسائل ... وغير ذلك.

قال الشيخ محمد عبد الحميد الشافعي رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية بمصر سابقًا بعد موت الدكتور هراس: وهكذا مات خليل، فمات عالم سلفي جليل، طالما حمل على عاتقه عبء الدعوة إلى الله، والجهاد في سبيله، كان يحارب (الصنمية) بكل ما أوتي من قوة، وكان يجند كل جهده ووقته في سبيل التعريف بالسنة، والتحذير من البدعة، وكان يلاقي من عنت الجبارين وكيد المبتدعين، وزندقة الملحدين، ما لا يطيقه إلا الصابرون المحتسبون.

ولقد كان -بحق- داعية مخلصًا لا يتوانى، ولا يتكاسل، وإنما كان حركة نشاط دائبة في كل مكان؛ في القرية، وفي المدينة، وحيثما توجه من أرض الله[1].

بدأت صلة الدكتور محمد خليل هراس بجماعة أنصار السنة المحمدية حوالي عام ١٣٦٠هـ في فترة مؤسسها الشيخ محمد حامد الفقي، حينما كان مدرسًا بالمعهد الديني بالزقازيق، فقد بدأ يبث دعوة التوحيد في منابر الزقازيق، كما كان يعد في هذه الفترة رسالة الدكتوراه عن شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-[2].

في كلية أصول الدين بالأزهر: في عام ١٩٤٥م حصل الشيخ محمد خليل هراس

---

(١) مجلة التوحيد، العددان (١٠، ١١)، شوال، ذو القعدة ١٣٩٥هـ، المجلد الثالث (ص٤).

(٢) انظر: المرجع السابق (ص٥).

على شهادة الدكتوراه، وعُين بعدها أستاذًا في كلية أصول الدين بالأزهر، فعمل جاهدًا على نشر عقيدة السلف في أروقة الأزهر، وشن حربًا شعواء على مذاهب المتكلمين، مبينًا ما فيها من انحراف عن مذهب أهل السنة والجماعة، مستقيًا معلوماته من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه الحافظ العلامة ابن قيم الجوزية، وقد كان يقيم المحاضرات العلمية المستوفية المليئة بالأدلة السمعية والعقلية، ومنها محاضرته التي ألقاها في الأزهر وطبعت ضمن محاضرات الأزهر بإشراف الدكتور محمد البهي بعنوان: (الصفات الإلهية عند ابن تيمية).

ولقد كان الدكتور هراس حريصًا كل الحرص على تخريج جيل من الطلبة عارف بعقيدة السلف، قد أُشربها، وجرت منه مجرى الدم من العروق؛ ليحمل لواءها عند تخريجه، ويعلنها في قومه وبين عشيرته وفي مجتمعه، فلم يكن يلقي محاضرته مجرد معلومات محضة؛ بل كان يربطها بالجانب الروحي والاعتقادي.

ومن جهده في الأزهر لإظهار المنهج السلفي، وثباته عليه، من خلال كتب شيخ الإسلام ابن تيمية، أن جعل بحثه لنيل درجة الأستاذية بعنوان: «**ابن تيمية السلفي**».

ولقد لقي الدكتور محمد خليل هراس من جراء هذا الحماس، وهذه الغيرة لمذهب السلف عنتًا شديدًا وأذًى كبيرًا، وواجه صعوبات سواء من إدارة الأزهر، أو من بعض شيوخه وأقرانه، ومن ذلك ما ذكرناه من معارضتهم إعارته للمملكة العربية السعودية.

وأيًا كان فقد كان للدكتور هراس دور بارز، وسعي مشكور في نشر عقيدة

السلف في الأزهر[١].

مقالاته في مجلة الهدي النبوي: عمل الدكتور محمد خليل هراس على نشر مذهب السلف من خلال مقالاته المتسلسلة والمتتابعة التي كان يكتبها بانتظام في مجلة جماعة أنصار السنة وقتذاك: «الهدي النبوي» والتي كانت لسان حال الجماعة، وكانت تجوب الأقطار الإسلامية ناشرة دعوة السلف حاملة لواء التوحيد رافعة شعار السنة.

كتب فيها الدكتور هراس مقالات تحت ثلاثة عناوين جلَّى فيها العقيدة، ورد على منكري بعض الأحاديث ممن تأثر بأصحاب المدرسة العقلية من قدماء ومحدَثين، وهي:

١- **عقيدة القرآن والسنة:** وتحت هذا العنوان قصد الشيخ هراس إلى بيان العقيدة الصحيحة المأخوذة من المنهلين الصافيين: كتاب الله الكريم، وسنة المصطفى الأمين -عليه الصلاة والتسليم-.

وقد عرض فيها لموضوعات: وجود الله في حلقتين، توحيد الله عز وجل في أكثر من نيف وأربعين حلقة، ناقش فيها القضايا المتعلقة بتوحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، والعبادات من الدعاء والاستعانة والاستغاثة، وتوحيد الأسماء والصفات، وغير ذلك.

٢- **الله مستوٍ على عرشه ولو كره المعطِّلون:** وهو عبارة عن رد على مقال كتب في مجلة «الاعتصام» وقد بين في هذه المقالات عقيدة أهل السنة والجماعة في استواء الله على عرشه، ورد على أهل الكلام.

---

(١) انظر المرجع السابق، (ص٥)، مجلة التوحيد، العدد الأول محرم ١٤١٧هـ، السنة الخامسة والعشرون، (ص٥٧، ٥٨).

٣- ركن السنة.

محاضراته في دار المركز العام والمدن والقرى والكليات: من أساليب جماعة أنصار السنة، ووسائلها في نشر دعوة التوحيد والسنة المحمدية: المحاضرات الدورية التي كانت تلقى في دار المركز العام يومي الأحد والأربعاء من كل أسبوع، يحضر لها ويعلن عنها.

ولقد كان للدكتور محمد خليل هراس مشاركة فاعلة في إقامة هذه المحاضرات؛ إذ كان يركز فيها على بيان عقيدة السلف معضدًا ذلك بإيراد الأدلة من الكتاب والسنة وأقوال الصحابة والتابعين والأئمة والأعلام، فكانت محاضراته تجد رواجًا كبيرًا[1].

أما فيما يتعلق بالمدن والقرى، فقد كان المركز العام ينظم زيارات لفروع أنصار السنة في مدن مصر، وقُراها لإلقاء المحاضرات والدروس العلمية، أو لحضور اجتماع الجمعية العمومية؛ لاختيار مجالس إدارة تلك الفروع، أو للمشاركة في مناسبة معينة كافتتاح مسجد، أو إشهار فرع أو غيره.

وفي هذا المضمار يضطلع الشيخ محمد خليل هراس بدور كبير، فيشارك في هذه الرحلات الدعوية والإدارية التفقدية، ويتوج تلك الجموع ويُشنِّف أسماع الحضور بإلقاء محاضرة قيمة حسب ما هو مخطط له في الزيارة[2].

أما الكليات فقد كان يلقي بها محاضرات علمية مغتنمًا الفرصة ليعرض الدعوة السلفية للسامعين من أعضاء هيئة التدريس، وطلبة الكليات.

---

(١) راجع الإعلان عن هذه المحاضرات، وبيان جدول المحاضرات في أعداد مجلة الهدي النبوي.

(٢) انظر الإعلان عن هذه الرحلات وبرامجها في أعداد مجلة الهدي النبوي.

وكان أحيانًا يوجه نصائح ثمينة لشباب الأزهر قرب انتهاء العام الدراسي ليئوبوا إلى قراهم وأهليهم وهم مزودون بعقيدة القرآن والسنة[١].

تكوينه جماعة أنصار السنة المحمدية بطنطا: بعد اعتناق الشيخ محمد خليل هراس مذهب السلف صدع بالدعوة إلى الله في المعاهد والكليات والمدن والقرى، ومن ذلك بلدته طنطا؛ ولكنه لما كان يعلم أن الدعوة الفردية تموت بموت أصحابها، وكان مؤمنًا بمبدأ التعاون على البر والتقوى -والعمل الجماعي شكل من أشكال التعاون- عمل على تكوين فرع لجماعة أنصار السنة المحمدية بطنطا، وتولى رئاسته، واستطاع من خلاله مع إخوته في الدعوة أن يبث التوحيد، وينشر العقيدة، وأن يحيي السنة، ويهدم الشرك والخرافة، وأن يميت البدعة، مذكرًا بكتاب الله الكريم، وسنة المصطفى ﷺ.

قال الشيخ فتحي أمين عثمان: «ولما كَوَّنَ الشيخ هراس جماعة أنصار السنة المحمدية بطنطا، كان يلقي فيها محاضراته التي يحارب فيها البدعة، ويدعو إلى السنة بالحسنى، وبأدلة القرآن والسنة، وكان لها أكبر الأثر في رد كثير من الناس إلى الحق والصواب.

وكان من أثرها أيضًا أن غلى غضب أعداء الحق فتحركوا يشكونه إلى المسئولين، وذلك لتشويه مسلكه، وكانت حجتهم قائمة على أساس أنه يكره الأولياء، غير أن هذا الأمر وقع في يد رجل ذكي سرعان ما أدرك الحق، وعرف الباعث على الشكوى، فنصحهم بالكف عن ذلك؛ لأن الشيخ يدعو إلى الحق[٢]؛ والتصدي

---

(١) انظر مجلة الهدي النبوي، العددان (٧، ٨)، رجب، وشعبان ١٣٧٤هـ المجلد ١٩، (ص٣٨).

(٢) مجلة التوحيد، العدد الأول محرم ١٤١٧هـ، السنة الخامسة والعشرون، (ص٥٨).

لأهل الحق بمثل هذه الأساليب أمر معلوم ممن يقف في وجه الحق، وممن تعوزهم الحجة في رده، وإفحام أهله.

وكان الشيخ هراس يخطب الناس في صلاة الجمعة في المسجد، ويقيم المحاضرات في الأمسيات في فرع الجماعة، وفي غيره إذا أتيحت له الفرصة، ولقد وجدت دعوته قبولاً، وكان من أكبر مناصريه الدكتور عبد الفتاح سلامة -رحمه الله-.

تأليفه الكتب وانتصاره لمذهب السلف: يعد الشيخ محمد خليل هراس من أكثر علماء أنصار السنة عناية بالكتابة عن عقيدة السلف، فقد بدأ في هذا الاتجاه منذ تلقيه العلم، وقد كانت رسالته لنيل درجة الدكتوراه بعنوان: «**ابن تيمية، ونقده لمسالك المتكلمين في الإلهيات**»، وكتب لدرجة الأستاذية بحثه عن شيخ الإسلام بعنوان: «**ابن تيمية السلفي**».

ومن أكبر جهود الدكتور محمد خليل هراس في نشر دعوة السلف: شرحه كتاب «**العقيدة الواسطية**»، لشيخ الإسلام ابن تيمية الذي يمتاز بالوضوح، والاختصار، والاستشهاد في مواضع كثيرة بالقرآن الكريم وبالسنة النبوية، وبأقوال السلف من المتقدمين والمتأخرين، وذكر مقالات الفِرق، والرد على شبههم.

قال الشيخ عبد الرزاق عفيفي في تقديمه الكتاب كما تقدم: «فكتاب شرح العقيدة الواسطية، لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد خليل هراس من أنفس الشروح، وأوضحها بيانًا، وأخصرها عبارة»[1].

ويعد هذا الشرح ضمن الكتب المقررة في بعض المعاهد والمدارس.

---

(١) شرح العقيدة الواسطية (ص٢).

يأتي بعد ذلك تأليفه كتاب: «**دعوة التوحيد**» والذي يمتاز بالسهولة واليسر، وبأسلوب العصر[1] وقد تعرض فيه لأهم مسائل العقيدة من تعريف التوحيد وأقسامه وآثاره، وبيان صفات الله تعالى، ودعوة الأنبياء من لدن نوح عليه السلام إلى محمد ﷺ، وظهور الفرق: القدرية، والمرجئة، والجهمية، والمعتزلة، وغيرها، والكلام على المتصوفة ومفاسدها والرد عليها، وهو من الكتب المنتشرة التي بذل فيها الشيخ خليل هراس جهدًا لبيان دعوة التوحيد.

ثم كتاب: «**شرح القصيدة النونية**» لابن القيم، ويعتبر شرح هذه القصيدة من نشر مذهب السلف، لما فيها من بيان عقيدة أهل السنة والجماعة في كل مسائل الاعتقاد، وذكر آراء مقالات الفرق والرد عليها في أسلوب شعري سَلِسٍ رصين، ويقع الشرح مع المتن في مجلدين.

ومن كتبه المهمة، كتاب: «**فصل المقال في نزول عيسى عليه السلام وقتله الدجال**»، وهو عبارة عن رد على أصحاب المدرسة العقلية ومن نحا نحوهم وبعض من تأثر بهم، خاصة فيما يتعلق بإنكار نزول عيسى عليه السلام وما من شك أن هذا يُعد من جهوده في إيقاف تلك الموجة العارمة التي تفتح المجال أمام أصحاب الأغراض والأهواء أن يتلاعبوا بمسائل العقيدة.

يقول الشيخ محمد خليل هراس في المقدمة:

أما بعد: فمنذ مطلع هذا القرن -أو قبله- وجدت جماعة تدعو إلى التحرر الفكري، وتتصدر حركة الإصلاح الديني، وتعمل لإحياء المفاهيم الدينية الصحيحة

---

(١) من كلمة ناشر الكتاب الشيخ عبد الفتاح الزيني (ص٥).

في نفوس المسلمين؛ ولكنهم في سبيل ذلك عمدوا إلى إنكار كثير من المغيبات التي وردت بها النصوص الصريحة المتواترة من الكتاب والسنة الأمر الذي يجعل ثبوتها قطعيًّا ومعلومًا من الدين بالضرورة، ولا سند لهم في هذا الإنكار إلا الجموح والغرور العقلي...»[(١)].

وكذلك كتاب: «**الحركة الوهابية**» الذي رد فيه على مقال للدكتور محمد البهي، وهو من الجهود المبذولة لإزاحة الشُّبه والدعايات المغرضة عن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب التي تعد من الحركات الإسلامية والتجديدية التي بثت في الأمة روح الدعوة السلفية، وفيها يقول:

«إن الحركة إنما نادت بالرجوع إلى مذهب السلف في العقائد التي هي الأصول؛ لأن السلف كانوا فيها على رأي واحد ضد أهل الأهواء من الخوارج، والشيعة، والقدرية، والمرجئة، والجهمية، ونحوهم»[(٢)].

التحقيق والشرح: قام الدكتور محمد خليل هراس بتحقيق وشرح بعض كتب السلف في مجالات شتى في العقيدة والحديث والسيرة والفقه وغيرها.

فتحقيق كتب العقيدة ونشرها يعد من الجهود في خدمة مذهب السلف، إذ إن مادته محصورة في بيان العقيدة الصحيحة والتوحيد الخالص على ما كان عليه السلف الصالح.

وأما ما كان منها في الفنون الأخرى، فإن شرح الدكتور هراس، أو تعليقاته

---

(١) (ص٥).

(٢) (ص٣٢).

عليها متركزة على بيان عقيدة السلف والدعوة إلى التمسك بها.

فتاواه في مجلة الهدي النبوي: تولى الشيخ محمد خليل هراس الإجابة على أسئلة القراء في مجلة الهدي النبوي بعد وفاة الأستاذ أبي الوفاء محمد درويش -رحمه الله-، وقد كانت الأسئلة تَرِد من كل بلدان العالم الإسلامي التي تصل إليها مجلة الهدي النبوي، وفي جميع مجالات وفنون العلم.

ولا شك أن الاضطلاع بهذا الدور يتطلب جهدًا كبيرًا من النظر في كتب أهل العلم لإعداد الأجوبة على هذه المسائل المتنوعة، ومنها جزء ليس بيسير يتعلق بقضايا الاعتقاد والتوحيد والسنة، وقد استمر الشيخ هراس في القيام بهذا الدور المهم؛ إذ يعتبر بيان المشاكل من ترسيخ المعلومة في نفوس القراء والسامعين، استمر في إجابة المستفتين إلى أن توقفت المجلة عام ١٣٨٧هـ[1].

*** مؤلفاته وتحقيقاته:**

له مؤلفات عدة، منها:

١- دعوة التوحيد.

٢- شرح العقيدة الواسطية.

٣- ابن تيمية ونقده لمسالك المتكلمين في مسائل الإلهيات.

٤- ابن تيمية السلفي.

٥- شرح القصيدة النونية، لابن القيم.

---

(١) انظر مجلة التوحيد، العدد الأول، محرم ١٤١٧هـ، (ص٥٨).

٦- فصل المقال في نزول عيسى عليه السلام وقتله الدجال.

٧- شرحه الترغيب والترهيب.

٨- شرح السيرة النبوية، لابن هشام.

٩- الحركة الوهابية.

ومن تحقيقاته:

١- تحقيق كتاب الخصائص الكبرى، أو كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب، للسيوطي.

٢- الأموال، لأبي عبيد القاسم بن سلام.

٣- التوحيد، لابن خزيمة.

٤- تحقيق كتاب المغني، لابن قدامة[١].

*** وفاته:**

توفي الدكتور الشيخ محمد خليل هراس عام ١٣٩٥هـ الموافق لشهر سبتمبر من عام ١٩٧٥م، عن عمر يناهز الستين، بعد أن عاش حياة علمية حافلة بالدعوة والتدريس والتأليف؛ رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته[٢].

* * *

(١) انظر المرجع السابق (ص٥٧، ٥٩).

(٢) انظر المرجع السابق (ص٥٧، ٥٩).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين.

أما بعد:

فإن موضوع محاضرتنا هذه من موضوعات الساعة، وهو:

« غربة الإسلام »

أيها الإخوة الكرام، إن الكلام عن غربة الإسلام في هذا العصر بين بنيه وأهله والمنسوبين زورًا إليه، يتطلب منا أولاً أن نعرف الإسلام في صورته الأولى التي نزل بها من عند الله، وأن نتبين القسمات والملامح المميزة لتلك الصورة.

وذلك بأن نقف على جملة الحقائق الأصيلة المقومة لهذا الدين قبل أن يطرأ عليها هذا الركام الهائل من البدع والمحدثات الدخيلة، ثم نقارن بينها وبين تلك الصورة الشوهاء المخلوطة التي يحسبها كثير من المسلمين أنها هي الدين، لنرى إلى أي حد بلغ بالمسلمين الجهل بأصول دينهم وحقائقه الأولى، وإلى أي مدى وصل المسخ والتشويه لصورته الأولى التي نزل بها حتى انعدمت أو كادت الصلة بين الصورتين في نظر المقارن الحصيف.

ولابد لكي نرسم للإسلام صورة حقيقية مطابقة للأصل أو على الأقل مقاربة له، أن نرجع إلى المنبع الأصلي لهذا الدين؛ وهو الوحي السماوي الذي يتمثل في الكتاب العزيز والسنة النبوية المطهرة.

إذ إن كل فهم صحيح عن الإسلام يجب أن يقوم على الاستضاءة بهذين النورين وحدهما، والاستقاء من نبعهما الصافي، وإلا تشعبت بنا السبل والتوت عليها المسالك وضللنا في متاهات الأهواء والآراء.

ولابد كذلك لكي يكون استمدادنا من الكتاب والسنة قائمًا على نهج سوي، أن نعلم أن الوحي بقسميه من كتاب وسنة قد نزل بلسان عربي مبين، لا مجال فيه لتعمية أو إلغاز، ولا محل لاستعارة أو مجاز.

فيجب أن تصان نصوصه عن العبث، وأن نفسر ألفاظها بمعانيها التي تدل عليها بحسب الوضع اللغوي لها، فلا نحرف كلمها عن مواضعه، ولا نستكره ألفاظها للدلالة على معنى بعيد لم توضع في الأصل لها، لا نتكلف تأويلها بما يصرفها عن معانيها المقصودة منها.

وإلا كان ذلك تلاعبًا بالنصوص، وتحكيمًا للهوى في دين الله، وفتحًا لباب فتنة كبرى تأتي على الدين من قواعده، حيث يعمد كل مبتدع وملحد إلى كل آية أو حديث لا يوافق مذهبه وهواه فيصرفها بالتأويل إلى ما يعتقده هو.

وهذا في نظرنا أمر جوهري؛ فإنه ما فرّق الأمة في الماضي بل والحاضر وجعلها شيعًا حتى بلغت نيفًا وسبعين فرقة، إلا فتح باب التأويل للنصوص الصريحة الواضحة،

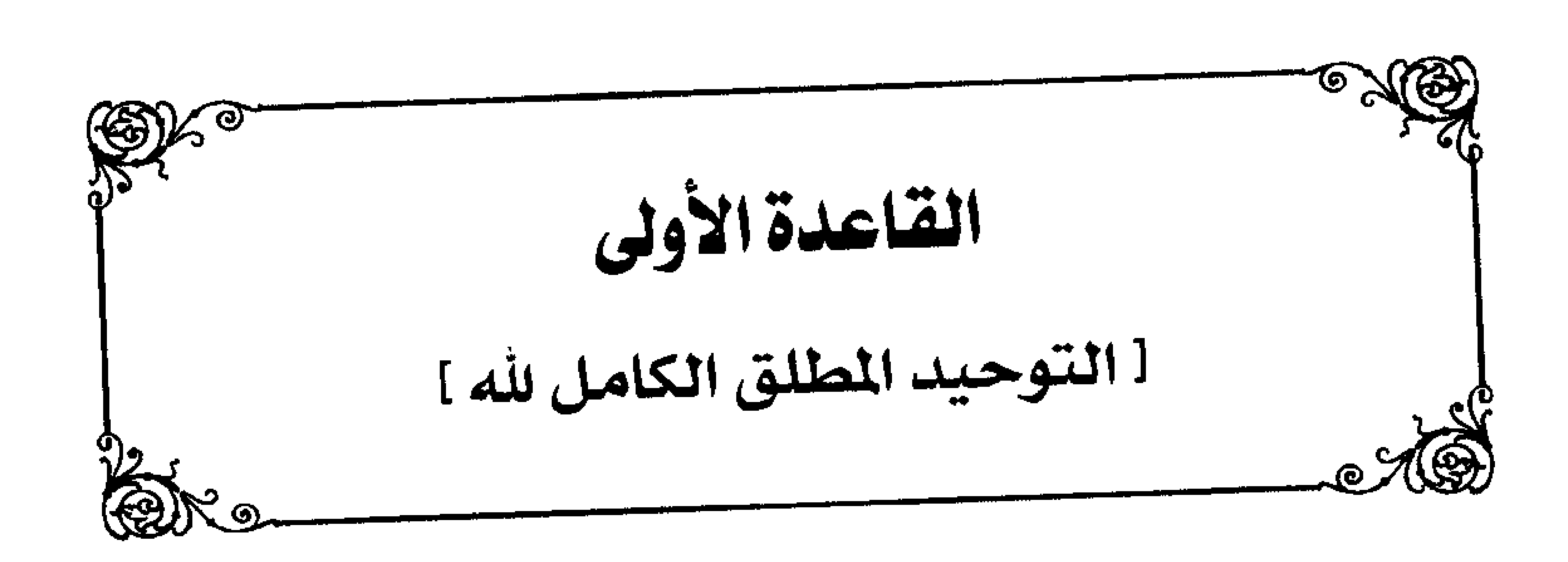
وتفسيرها بالميول الزائفة والنحل الفاسدة.

وهو في نظرنا -أيضًا- محل الخلاف بين أهل السنة وأهل البدعة؛ فإن الأولين وقفوا عند حدود الوحي المنزل وفهموه كما ينبغي أن يفهم، فلم يسموه تأويلاً، ولا أوسعوه تحريفًا وإبطالاً.

وأما الآخرون؛ فجعلوه على ما استقر في عقولهم من معتقدات فاسدة، لما وجدوا ظواهره لا توافق هذه المعتقدات، بل زعموا -وبئس ما زعموا- أن ظواهر هذه النصوص محال، وحكموا بأن ظاهر القرآن والسنة ضلال.

ونرجع بعد هذه المقدمة إلى ما نحن بسبيله من رسم صورة صادقة للإسلام ثم بيان ما طرأ على هذه الصورة من زيادات وإضافات وتحريف وتبديل أدى إلى مسخها وتشويهها فنقول:

إن الدين الإسلامي الذي بعث الله به عبده ورسوله محمدًا ﷺ على فترة من الرسل ليهدي به البشرية ويخرجها من الظلمات إلى النور بإذن ربها، يقوم أساسًا على هذه القواعد الآتية:



القاعدة الأولى

[التوحيد المطلق الكامل لله]

التوحيد المطلق الكامل لله، الذي يشمل:

توحيد الربوبية: وهو اعتقاد أنه سبحانه هو رب كل شيء وخالقه ومليكه، فالملك كله بيده، وهو المتصرف في خلقه كما يشاء، يدبر أمورهم بحكمته، وكلهم مقهورون في قبضته.

فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، بيده الخلق والأمر، وبيده الضر والنفع، ويحكم لا معقب لحكمه، ويقضي لا راد لقضائه، ولا يستطيع أحد من الخلق أن يرده عن إرادته، ولا أن يكرهه على خلاف ما يريد، ولا أن يفسخ ما أمضاه، ولا أن يحل ما أبرمه.

فمن يهده فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، ومن ينصره فلا غالب له، ومن يخذله فلا ناصر له: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [فاطر:٢].

وأن كل ما يجري في الكون من شئون وأحداث قد سبق به الكتاب، وجرى القلم، فما أصاب أحدًا لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

ويشمل توحيد الإلهية وهو: أن العبادة كلها لا تنبغي إلا لله، فهي حقه الواجب له على العباد. فلا يجوز أن يُجعل له ندٌّ من خلقه يكون مستحقًّا للعبادة معه، بل يجب أن تخلص له العبادات كلها:

عبادة القلب: من المحبة والتعظيم، والخوف والرجاء، والذل، والخضوع، والرغبة والرهبة، والتقوى والخشية، والتوكل والاستعانة، والتوبة والإنابة، والصبر، والشكر، والتسليم، والرضا.

وعبادة اللسان: من الذكر بكل أنواعه: تسبيحًا، وتحميدًا، وتهليلاً، وتكبيرًا، وتلاوة قرآن، ومن التسمية، والاستعاذة، والدعاء، والنداء والاستغاثة، والحلف.

وعبادة الأبدان: من الصلاة، والصيام، والحج، والجهاد وغيرها.

وعبادة الأموال: من الصدقات، والنذور، والكفارات: الذبح والنذر، وأنواع البر المختلفة التي ندب إليها الشرع.

فهذه كلها وغيرها عبادات لا يجوز لأحد أن يتقرب بها إلا إلى المعبود الحق، وهو الله عَزَّ وَجَلَّ .

فمن فعل شيئًا منها لأحد من الخلق أيًا كان؛ فقد وقع في الشرك الأكبر الذي لا يغفر، وقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار.

ويشمل كذلك توحيد الأسماء والصفات الذي يقوم على: إثبات كل ما أثبته الله لنفسه، أو أثبته له رسول الله ﷺ من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.

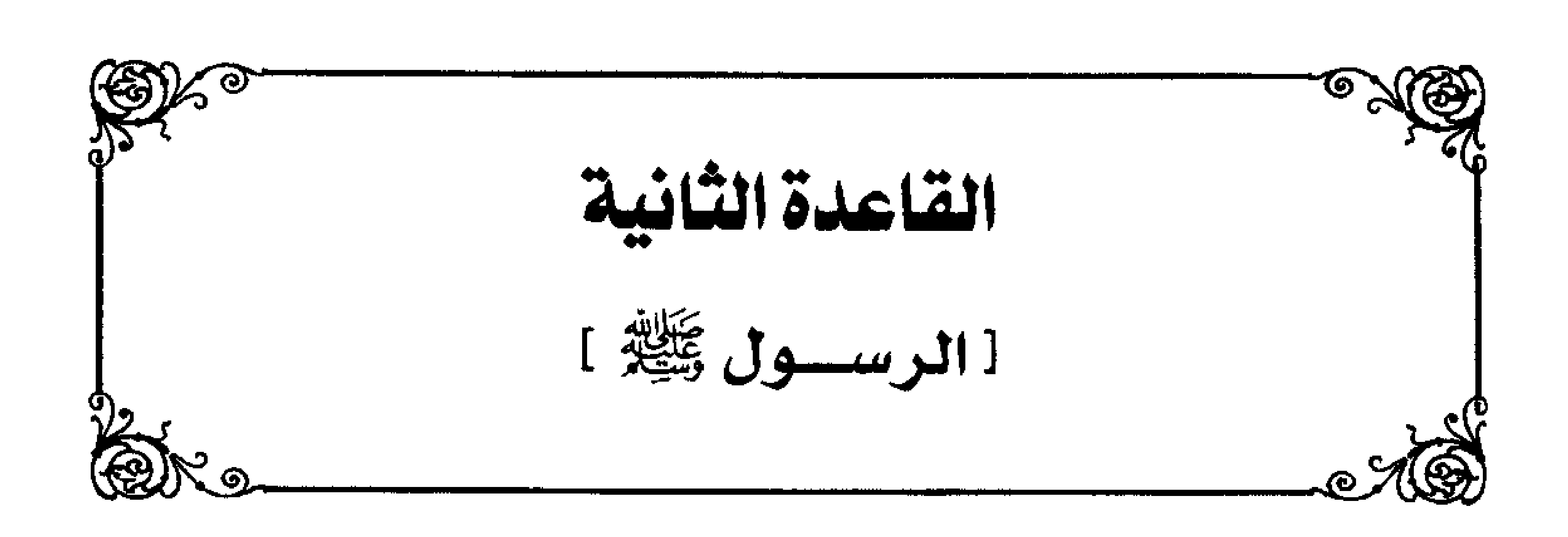
فنثبت له سبحانه ما أثبت من الأسماء والصفات، وننفي عنه مشابهة المخلوقات.

فله سبحانه الأسماء الحسنى والصفات العلا التي لا تنبغي إلا له، والتي لا يشبهه فيها أحد من خلقه؛ إذ ليس كمثله شيء.

ولا ينبغي أن يعول في هذا الباب إلا على الكتاب والسنة وحدهما، فلا نتحاشى إثبات كل صفة ورد بها النص الصريح من الكتاب والسنة مع تنزيهه سبحانه عن مماثلة المخلوقين؛ فنثبت له الوجه، والعين، واليد، والاستواء، والنزول، والمجيء، والإتيان، والنداء، والتكلم، والسمع، والبصر، والرحمة، والغضب، والرضا، والسخط، والمحبة، والكراهية.

ولا ننفي عنه إلا ما نفاه هو عن نفسه من العجز، والسفه، والجهل، والظلم، والجور، والضلال، والنسيان، والبخل، والفقر، والسِّنة، والنوم، والموت، والفناء.

❋ ❋ ❋



القاعدة الثانية

[الرسول ﷺ]

أن محمدًا ﷺ هو رسول الله لهذه الأمة، المبلغ عنه أمره ونهيه، وأنه خاتم النبيين لا نبي بعده، وأن كل من ادعى النبوة بعده قد ظهر كذبه وافتضح أمره، وأنه هو وحده المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى ولا يكذب على الله ﷻ ولا يكتم شيئًا مما أمر بتبليغه؛ ومن سواه يجوز أن يخطئ ويصيب ويجوز عليه الكذب والكتمان.

فليس لأحد أن يعدل عن قول رسول الله ﷺ إلى قول أي أحد، ولا أن يعارض قوله بقول أحد، ولا أن يخالف عن أمره أو يقدم بين يديه برأي أو حكم.

بل يجب على كل مسلم أن يتبعه ظاهرًا وباطنًا، وأن يأخذ عنه دينه كله، عقيدته وعمله؛ فيصدقه في كل ما أخبر عنه من شئون الغيب التي لا سبيل إلى العلم بها إلا من جهته، ويطيعه في كل ما أمر به معتقدًا أن الرشد كله والهدى والفلاح في امتثال أمره، ويجتنب كل ما نهى عنه من الفواحش والمنكرات وسوء الأعمال ورذائل الأخلاق.

فليس للخلق وسيلة إلى الله ﷻ توصلهم إليه، وتنجيهم من عذابه، وتقربهم إليه زلفى؛ إلا اتباع رسول الله ﷺ في كل ما جاء به، كما قال تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف:١٥٧].

والطرق كلها إلى الله مسدودة على الخلق إلا طريق من اقتفى أثره واتبع هواه، فهي وحدها الطريق الموصلة إلى الله.

وينبغي أن يعلم مع ذلك: أن محمدًا ﷺ بشر من الناس ليس إلهًا ولا ابن إله، وأنه كان يأكل الطعام ويمشي في الأسواق، وينكح النساء، وتصيبه الأمراض والجراحات، وتنزل به الهموم والأحزان.

وأنه لا يعلم من الغيب إلا ما علمه الله، ولا يملك لنفسه ولا لغيره ضرًّا ولا نفعًا إلا ما شاء الله، كما قال تعالى من سورة الأنعام: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأنعام:٥٠].

وكما قال من سورة الأعراف: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأعراف:١٨٨].

وصح عنه ﷺ أنه قال ناصحًا لأمته: «**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم وإنما أنا عبد؛ فقولوا: عبد الله ورسوله**».

وقال: «**لا تتخذوا قبري عيدًا، وصلوا عليَّ حيثما كنتم؛ فإن صلاتكم تبلغني**».

وروى مالك في الموطأ عنه أنه قال: «**اللهم لا تجعل قبري وثنًا يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**».

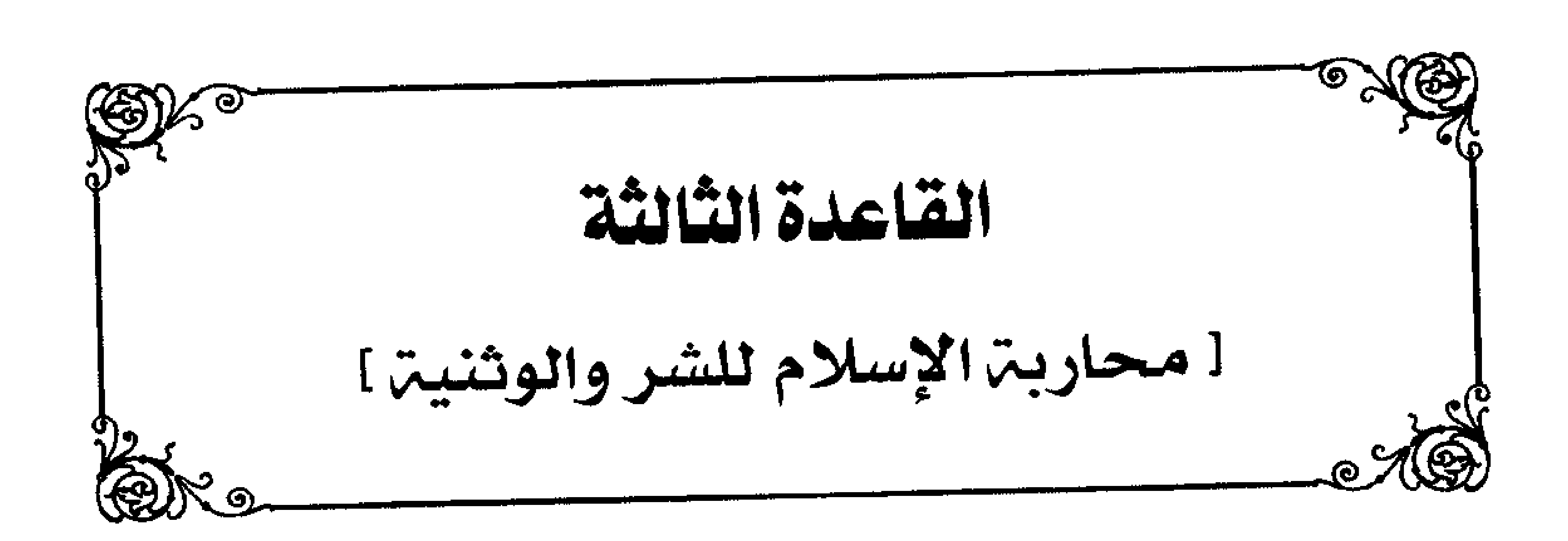
وكذلك صح عنه ﷺ أنه قال لابنته فاطمة رضي الله عنها -وهي أحب الناس إليه-:

«اعملي؛ فإني لا أغني عنك من الله شيئًا».

وأنه لا يجوز لأحد أن يطلب منه شيئًا بعد موته، أو أن يستقبل قبره الشريف في صلاة أو دعاء بل للتسليم فقط، وأن الصحابة ﷺ -وهم أعرف الناس بقدره وأشدهم له تعظيمًا ومحبة- لم يكونوا يجيئون عند قبره فيشكون إليه أحوالهم، أو يسألون أن يدعو الله لهم ليكشف ما نزل بهم، بل لما قحطوا عام الرمادة وأرادوا السقيا قدموا عمه العباس بن عبد المطلب ليستسقي لهم.

وأما شفاعته ﷺ في الآخرة؛ فهي حق ثابت بالأحاديث الصحيحة، وله شفاعات متعددة؛ فهو يشفع في عموم الخلق أن يصرفهم الله من هول الموقف، وهذه الشفاعة هي المقام المحمود الذي وعده الله ﷻ، ويشفع في أهل الكبائر من أمته، وأسعد الناس بشفاعته يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله خالصة من قلبه.

❋ ❋ ❋



القاعدة الثالثة

[محاربة الإسلام للشر والوثنية]

إن الإسلام وهو دين الحنيفية السمحة والتوحيد الخالص، قد حارب الوثنية في جميع صورها، وعمل على اجتثاث جذورها وسد ذرائع الشرك كلها.

فقد نهى عن: الغلو في تعظيم المخلوقين ومدحهم بغير حق وإحاطتهم بجو من التأليه والقداسة يخرجهم عن دائرة البشر.

ونهى عن: رفع القبور وتشييدها وإقامة القباب عليها والطواف بها والصلاة والدعاء عندها وتقديم النذور للمقبورين فيها.

ونهى عن: الاستغاثة بهم ودعائهم لقضاء الحاجات وتفريج الكربات، وأخبر أنهم لا يسمعون مَن دعاهم، ولا يجيبون مَن ناداهم.

وقال تعالى من سورة النحل: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النحل:٢٠-٢١].

وقال من سورة الإسراء: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء:٥٦-٥٧].

وقال من سورة فاطر: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر:١٣-١٤].

ونهى الإسلام عن: شد الرحال إلى غير المساجد الثلاثة الكبار التي هي: المسجد الحرام بمكة المكرمة، والمسجد الأقصى الذي بالشام؛ ومسجد الرسول ﷺ بالمدينة.

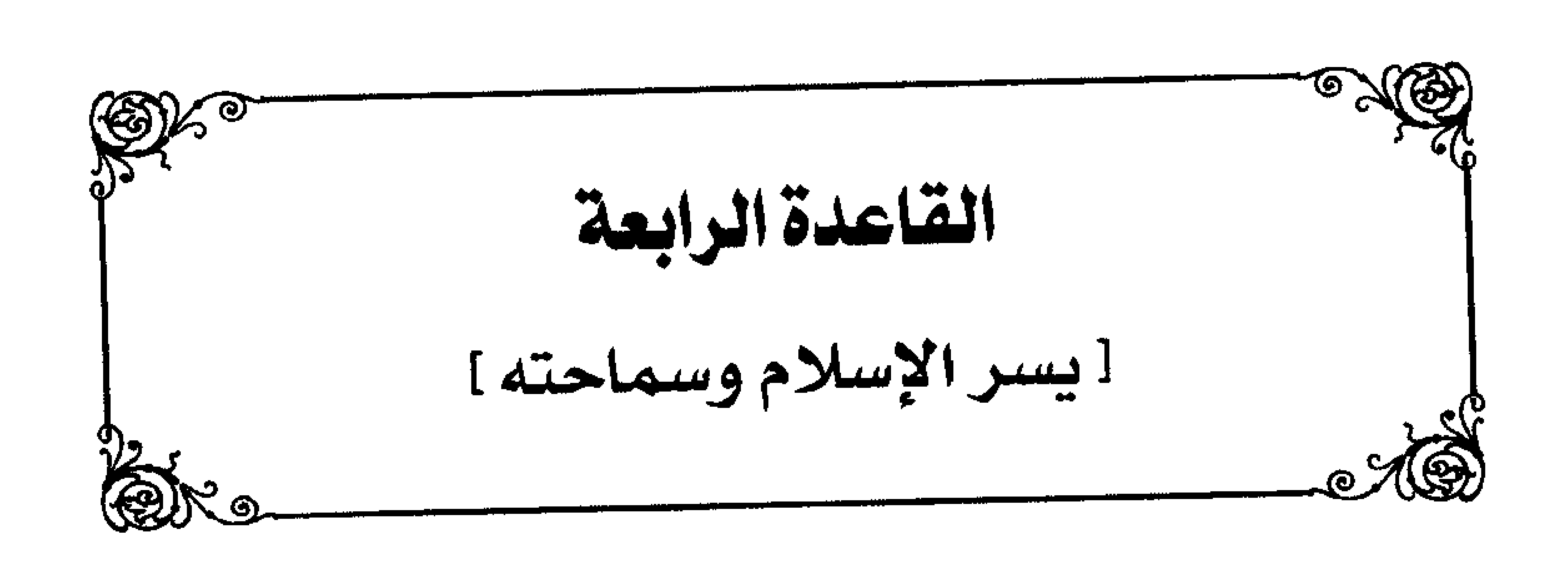
وإذا كانت المساجد وهي بيوت الله التي أذن أن ترفع ويذكر فيها اسمه، لا يجوز شد الرحال إليها للصلاة فيها، فكيف يجوز شد الرحال إلى المشاهد لزيارتها أو إلى الموالد التي تشبه أعياد الجاهلية لإحيائها وإقامتها؟! إن هذه الوثنية لا يعرفها الإسلام.

ونهى الإسلام أن يعتقد أن في بعض الأمكنة أو الأشخاص أو الآثار سرًّا وبركة به تشفى الأمراض أو تقضى الحاجات أو تخصب العقيم أو تتزوج العرائس، هذه كلها أوهام لا يقرها دين الإسلام.

ونهى الإسلام كذلك عن السحر والطلاسم، وعن الرقى والتمائم، وعن التطير والتشاؤم، وعن الكهانة والعرافة، وعن محاولة النفوذ إلى ضمير الغيب بواسطة قراءة الكف أو ضرب الرمل أو زجر الطير أو قراءة الفنجان أو تسخير الجان أو غير ذلك مما أولع به النسوان في هذا الزمان.

ونهى عن اتخاذ الصور والتماثيل لإنسان أو حيوان.

وهكذا احتاط الإسلام للتوحيد أشد الحيطة، ومع ذلك فقد خالفت أمة التوحيد أصول التوحيد، كما سنبينه بَعدُ -إن شاء الله-.



القاعدة الرابعة

[يسر الإسلام وسماحته]

إن الدين الإسلامي دين سماحة ويسر، لا مشقة فيه ولا عسر، فقد وضع الله عن أهله الآصار والأغلال التي كانت على من قبلهم، ولم يجعل عليهم في الدين من حرج، فشرع لهم من الطهارات الحسية والمعنوية ما فيه تنظيف لثيابهم وأبدانهم وأرواحهم، من غير أن يكلفهم في ذلك ما يشق عليهم.

فرخص لهم في استعمال التراب بدلاً من الماء عند فقده أو تعذر استعماله في الحدث الأكبر والأصغر جميعًا.

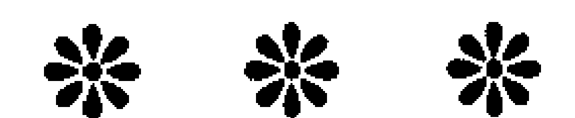
ووضع عنهم شطر الصلاة في السفر، ورخص لهم الفطر فيه، وأذن لهم في المسح على الجبائر والخفين والعمائم والجوارب.

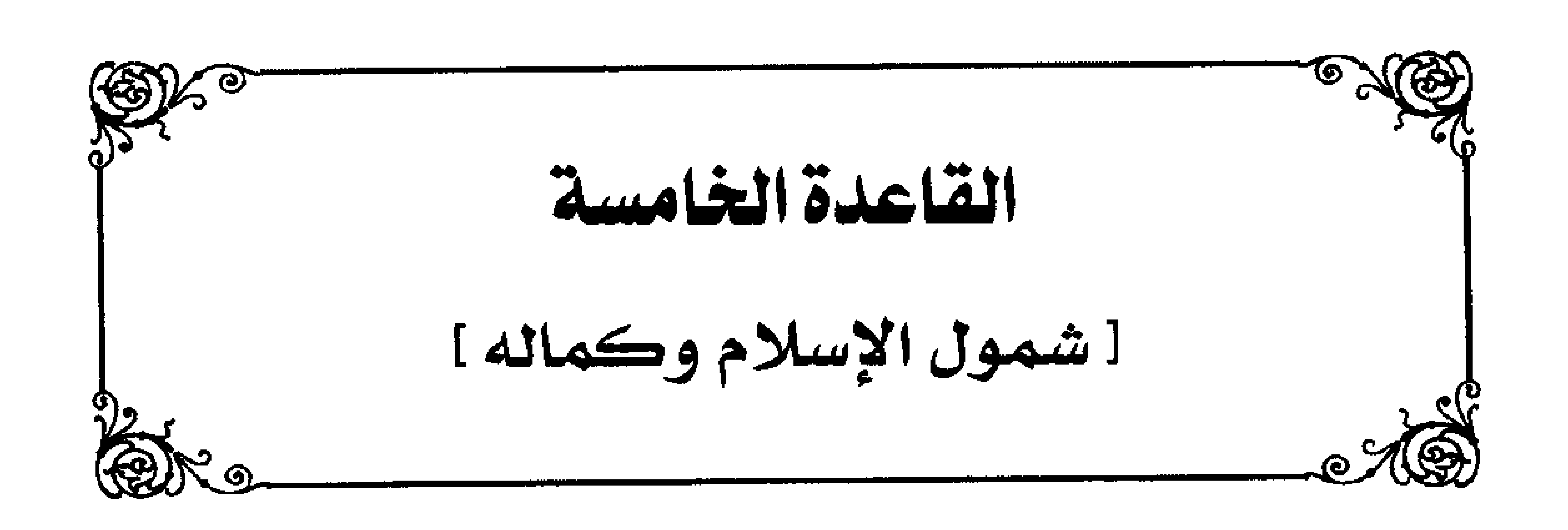
وشرع لهم ضروبًا من العبادات السهلة لتكون تعبيرًا عمليًّا عن خضوع المسلم لربه، ولتكون رمز الولاء والحب والعرفان والشكر لنعمه، ولتكون كذلك كمالاً للتوحيد وعنوانًا على الإخلاص.

وهي كذلك تجدد ذكر الله في القلب حتى يظل العبد موصولاً به يتمثل عظمته وجبروته ويسارع في مرضاته.

وفضلاً عن ذلك: فإن العبادات ذات أثر بالغ في تقوية مشاعر الأخوة بين المسلمين، وتوثيق أواصر المودة بينهم؛ حيث يقومون بها جميعًا، لا فرق بين حاكم ومحكوم، ولا بين أمير وسوقة، فيشعرون بالمساواة التامة بين يدي الله ﷻ وتنمحي بينهم تلك الفوارق العارضة التي ولدتها ظروف الحياة.

ولهذه العبادات من صلاة وصيام وزكاة وحج المكان الأول في نظر الإسلام بعد التوحيد؛ فلا يجوز لمسلم أن يتهاون بها أو يقصر في أدائها، كما يجب على الدول أن ترعى ذلك وأن توليه جُلَّ اهتمامها وأن تهيئ للناس كل الوسائل التي تمكنهم من القيام بشعائر تلك العبادات.





القاعدة الخامسة

[شمول الإسلام وكماله]

إن الدين الإسلامي نظام إلهي كامل أنزله الله وافيًا بحاجات البشرية كلها في العقيدة والعبادة والسلوك والأخلاق، وأحكام البيوع والمعاملات، وأنواع الحدود والجنايات، وشئون القضاء والخصومات، ونظام الأسر وآداب المجتمعات، وأحكام الحرب والسلم وعقود الصلح والذمة إلى غير ذلك مما حفل به الفقه الإسلامي المستمد من الكتاب والسنة.

فليس الدين الإسلامي -كما يزعم المغرضون- دين عبادة وزهد فحسب، ولا صلوات تؤدى في المساجد وأعمال تقصد بها الآخرة، ولكنه دين ينظم شئون الحياتين، ويتغلغل إلى كل مظاهر الوجود.

فهو دين في طبيعته أن يقود ويهيمن، لا أن يتوارى ويختفي؛ وهو يفرض على أتباعه أن يأخذوا به كله، وأن يدخلوا فيه كافة، فليس لأحد أن يأخذ بشيء من الدين ويدع شيئًا، بل إما أن يؤخذ كله أو يترك كله.

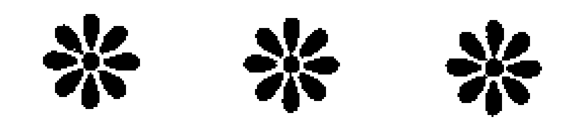
وليس في القرآن سورة تؤثر وأخرى تهدر، ولا حكم يتبع وآخر يهجر، بل الدين كلٌّ لا يتجزأ.

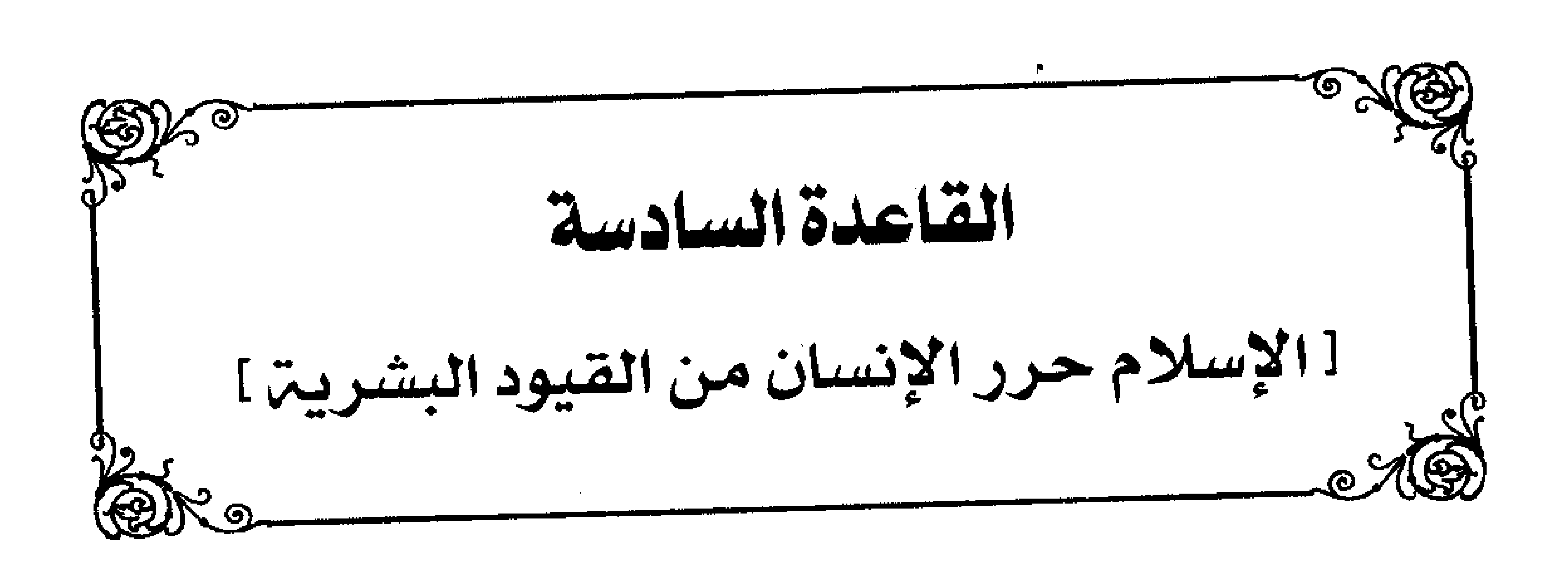
وليس لأحد كذلك أن يزعم أن هذا الدين ناقص يحتاج إلى تكميل أو تحسين، فيضيف إليه من البدع ما شاء له هواه، ويفتري على الله الكذب، بل الواجب هو الوقوف عند ما حده الله ورسوله بلا زيادة أو نقصان، فإن النقص تفريط وجفاء والزيادة ظلم واعتداء، ودين الله وسط بين الجافي عنه والغالي فيه.

ومن الجرم الفظيع والجناية الكبرى: أن يزعم أحد أن دين الله منقسم إلى حقيقة وشريعة، وأن لكل منهما أهلها، فالحقيقة للخواص والشريعة للعوام!! ويجوز لأرباب الحقيقة مخالفة الشريعة لأنهم ليسوا مكلفين بها!!

فإن هذا القول كفر بالشريعة وبالدين كله؛ فإن الشريعة هي ما شرعه الله لعباده وأمرهم باتباعه، فهي تنتظم الدين كله في جملته وتفصيله، وتشمل الأعمال الظاهرة التي تفعل بالخارج، والأعمال الباطنة التي تتعلق بالقلوب.

قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية:١٨].





القاعدة السادسة

[الإسلام حرر الإنسان من القيود البشرية]

إن الإسلام حرر العقل الإنساني من سلطان الخرافة والوهم، ومن كل ما يشل حركته ويعطل موهبته، ورفع الحجر الذي كان مضروبًا عليه ورد إليه اعتباره المهدد.

فدعاه إلى النظر في ملكوت السموات والأرض ليستنتج ويعتبر، ووضع له المعايير الصحيحة للتفكير السليم.

فنهاه أن يقفو ما ليس له به علم، أو أن يصدق بما لم يقم عليه الدليل، أو أن يجري وراء سخافات وضلالات قد أسماها أصحابها: «فلسفات ورثتها الإنسانية عن قرونها الأولى» من غير أن يمتحن صدقها؛ ليعرف ما فيها من حق فيأخذه، وما فيها من باطل فيرفضه.

وحرر الإسلام كذلك الإرادة الإنسانية من التبعية الذليلة والانقياد الأعمى لشهوات السادة والرؤساء، ودعا الإنسان إلى أن يعيش حرًّا كريمًا في ظلٍّ من أداء الواجب ويقظة الضمير والرعاية لحدود الله.

وحرر إرادته كذلك من أسر الشهوات وعبادة اللذات، وأن يكون سيد نفسه يملكها ولا تملكه، ويسمو بها عن حضيض الحيوانية الوضيعة إلى أوج الإنسانية

الرفيعة، ويزكيها بالأعمال الصالحة والأخلاق الكريمة.

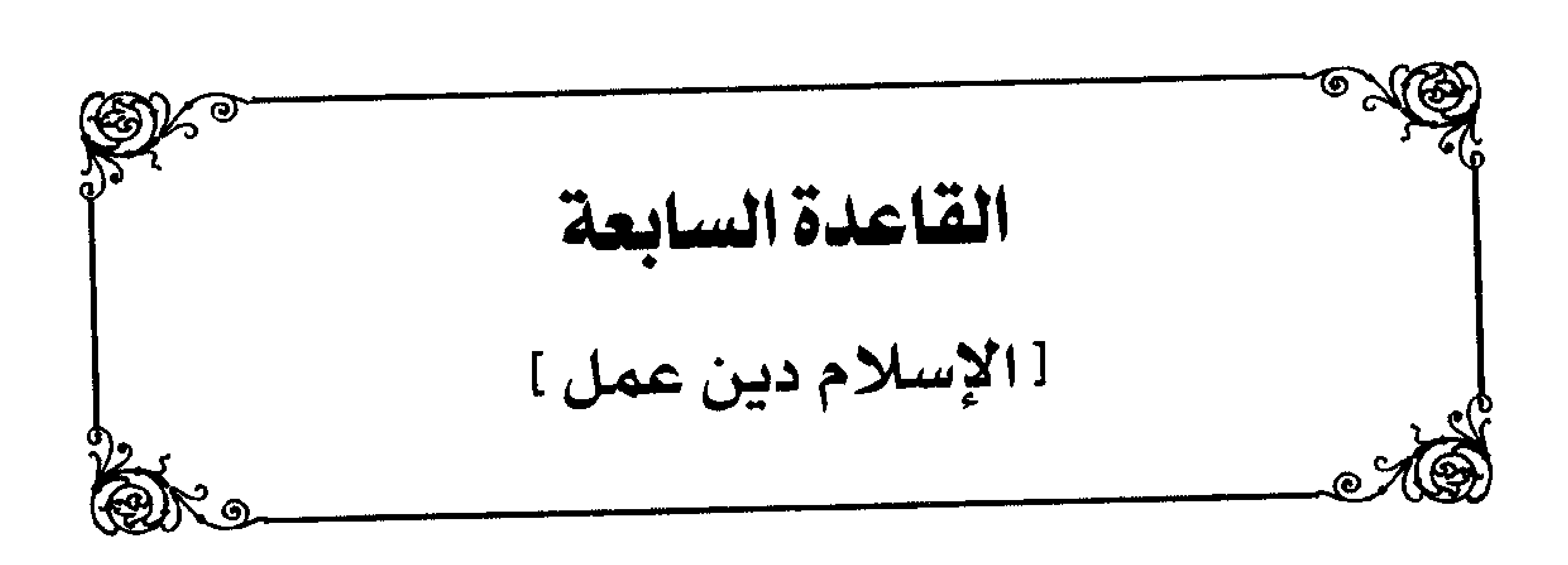
وحذر الإسلام من التقليد الأعمى، والتعصب للدين والعادات الموروثة عن الآباء والأجداد والشيوخ، وأمر بتمحيص ذلك كله وتقليب النظر فيه؛ ليؤخذ ما فيه من حق وخير، ويجتنب ما فيه من باطل وشر.

ودعا إلى وحدة الأمة واعتصامها جميعًا بحبل الله وانضوائها تحت راية القرآن.

ونهى عن التفرق في الدين والاختلاف فيه، وحارب العصبية بكل أنواعها؛ سواء كانت عصبية لجنس أو لون أو قبيلة أو نحلة أو مذهب، ودعا إلى التسامح والجدال بالتي هي أحسن، وردِّ ما تنازع فيه المسلمون إلى الكتاب والسنة مع الرضا بحكمهما والتسليم لهما.

قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء:٦٥].

* * *



القاعدة السابعة

[الإسلام دين عمل]

وأخيرًا؛ دعا الإسلام إلى العمل وحث عليه كل قادر، وجعله موضع نظر الله من العبد؛ فإن الله لا ينظر إلى الصور والأجساد ولكن ينظر إلى القلوب والأعمال.

وأخبر أن المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف، وأن أطيب ما أكل الرجل من كسبه، وأن من أمسى كالاً من عمل يده أمسى مغفورًا له، وأن الرجل حين يأخذ حبله ويخرج إلى الجبل فيجمع حزمة من الحطب يحملها على ظهره ويبيعها خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه، وأن اليد العليا خير من اليد السفلى، وأن الله يحب عبده الشجاع ولو على قتل حية، إلى غير ذلك.

مما يدل على أن الإسلام دين الإيجاب والحياة والقوة والنظام، وليس دين القعود والتوكل والمهانة والعجز، ولا دين البِيَع والصوامع والخلوات والأديرة، ولا دين هؤلاء البطالين والمتآكلين باسم الدين الذين يجوبون في طول البلاد وعرضها يجمعون المال الحرام ويأكلون في بطونهم السحت الخبيث، ويخدعون الجاهل والأغرار باسم المشيخة والطريقة والسر والبركة والولاية والمدد، ويتخذون من ذلك حرفة يتعيشون منها معرضين عن الأعمال الشريفة التي تضمن لهم الرزق الحلال الطيب بلا ختلٍ ولا احتيال.

أيها الإخوة، هذا هو الإسلام في إطاره الحقيقي، وفي تياره النقي قبل أن تُصَبَّ فيه تلك الروافد الآسنة التي عَكَّرت صفوه، وأخرجته عن بساطته ونقائه، وغيرت في وجه سنائه.

فماذا حدث لهذا الإسلام من أحداث وماذا أصابه من محن وأرزاءٍ ؟

هنا يطول الكلام جدًّا، فقد استهدف الإسلام في مدى أربعة عشر قرنًا لحملات جائرة وغارات متلاحقة بعضها مستعلن وبعضها مستتر.

بل إن الإسلام قد أوذي من بعض أهله الغيورين بأكثر مما أوذي من الأعداء الشانئين. ولقد صدق المثل القائل: «**عدو عاقل خير من صديق جاهل**».

وإذا كنا لا نستطيع في هذه المحاضرة -وهي ذات حيز ضيق ووقت محدود- أن نحصر كل ما وفد على الإسلام من الأوضار الداخلية والبدع المحدثة والثقافات المختلفة، فإننا سنكتفي بعرض سريع لأهم العوامل التي أثرت في مجراه، والتي كادت -لولا لطف الله وحفظه لدينه وكتابه- أن تقضي على هداه:

لقد توفي رسول الله ﷺ بعد أن أكمل الله له ولأمته دينهم، وأتم عليهم نعمته، ورضي لهم الإسلام دينًا، وبعد أن ترك أمته على المحجة البيضاء ليلها كنهارها، فلم يدع خيرًا يقربها من الله إلا أمرها به، ولا شرًّا يبعدها عن الله إلا نهاها عنه.

ثم قام بالأمر من بعده خليفته الأول صديق هذه الأمة أبو بكر ﷺ، ثم خلفه عمر الفاروق ﷺ بعهد منه، وقد سارت أمور المسلمين في عهدهما على أحسن ما يكون، بحيث يمكن أن تعتبر خلافتهما امتدادًا لزمان النبوة.

ثم ولي الأمرَ عثمانُ بن عفان ﷺ فاستتب له الأمر مدة، ثم وهنت قوته، فاضطرب الحبل في يده، وتسلط عليه بعض أهل بيته، وجدت عوامل متعددة أذكت الفتنة ضده حتى انتهت بقتله شهيدًا مظلومًا.

وكان مقتله على هذه الصورة البشعة وفي المدينة دار الهجرة وحاضرة الخلافة، نذيرًا بتلاحق الفتن وشبوب أوارها، فقد بويع بعده علي ﷺ بالخلافة، ولكن معاوية وأهل الشام امتنعوا عن بيعته بحجة أنه لم يقتصَّ من قتلة عثمان.

ثم خرج عليه بعض إخوانه من السابقين الأولين، كطلحة والزبير، وانحازوا إلى البصرة ولحقت بهما عائشة أم المؤمنين ﷺ وكانت موقعة الجمل التي انتهت بمقتل طلحة والزبير وعُقر فيها جمل عائشة، وكادت تقتل، وقد سيرها علي إلى المدينة مكرمة.

ثم اشتد الخلاف بين علي ومعاوية وكانت معركة صفين التي انتصر فيها علي، لولا أن بعض جيشه تمرد عليه وأرغمه على قبول التحكيم.

فخرج عليه الخوارج الشُّراة واتهموه بأنه حكم الرجال في كتاب الله، وكفروه هو وأصحابه، كما كفروا معاوية ومن معه، وكفروا عثمان أيضًا واستحلوا دماء المسلمين وأموالهم وسبي ذراريهم ونسائهم.

وبذلك كانت هؤلاء الخوارج أول فرقة من أهل البدع التي ظهرت في الإسلام وكانت حركتهم أول تمرد سافر ضد المبادئ الدينية والجماعة الإسلامية، فقد كفروا مرتكب الكبيرة، وحكموا بخلوده في النار؛ مخالفين بذلك إجماع المسلمين على أن

مرتكب الكبير لا يخرج عن الإيمان بكبيرته، وأنه يسمى مؤمنًا عاصيًا، وأنه إذا مات ولم يتب من ذنبه فأمره مفوض إلى ربه إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه.

وذهبوا أيضًا إلى أنه لا يشترط في الخليفة أن يكون قرشيًّا، رغم الأحاديث الكثيرة الواردة في ذلك.

وقد حاربهم علي رضي الله عنه بعدما ثبت له أنهم هم المعنيون في الأحاديث الصحيحة التي ذكرت سيماهم وعلامتهم، وكسرهم شر كسرة في موقعة النهروان هنا وهناك.

وإلى جانب هؤلاء الخوارج ظهرت فرقة تشيعت لعلي وأهل بيته وغلت فيهم إلى حد التأليه واعتقاد العصمة، وزعموا أن النبي ﷺ كان قد نص على إمامة علي وأوصى له بالأمر من بعده، ولكن أبا بكر وعمر ومن معهما من الصحابة قد تآمروا على تنحيته واغتصاب حقه من الخلافة!!!

فأظهر هؤلاء الشيعة سبَّ أبي بكر وعمر وعائشة وكثير من الصحابة وصرحوا بلعنهم، وأحدثوا من البدع في العقائد والعبادات شيئًا كثيرًا كالقول بالتقية، والرجعة، وعصمة الأئمة، وألفوا لهم كتبًا خاصة في الحديث والفقه خالفوا فيها جماعة المسلمين.

ثم ظهرت فرقة يقال لها: القدرية، زعموا أن لا قدر، وأن الأمر أُنُف، وأن الله لم يكتب على العباد شيئًا، وغلا بعضهم حتى زعم أن الله لا يعلم أعمال العباد قبل وقوعها.

وقد ظهرت هذه البدعة في أواخر عهد الصحابة فأنكروها؛ وأظهروا البراءة من أصحابها، وردوا عليها بما عندهم من أحاديث القدر.

ثم ظهرت المرجئة كطرف مقابل للخوارج، بتكفير مرتكب الكبيرة والحكم بخلوده في النار، فرط هؤلاء المرجئة وزعموا أنه لا يضر مع الإيمان ذنب، كما لا تنفع مع الكفر طاعة، وأن مرتكب الكبيرة مؤمن كامل الإيمان، وأخروا الأعمال عن الإيمان، وزعموا أنه مجرد المعرفة.

ثم ظهر الجهم بن صفوان الترمذي فغلا في التعطيل ونفي جميع الأسماء والصفات الإلهية، وقال: لا أصف الله بصفة توجد في المخلوق، ولا أسميه باسم يطلق على المخلوق.

فلم يُسمِّه إلا قادرًا فاعلاً، لأن المخلوق عنده لا قدرة له ولا فعل، بل هو مجبور على أفعاله، وهي تصدر عنه بلا اختيار منه، كما تصدر أفعال الجمادات.

وزعم أن الله يعذب العبد على ما ليس من فعله، وأحدث القول بخلق القرآن، إلى غير ذلك مما ابتدعه هذا المارق الأثيم من بدع وضلالات ورثها من بعده ومن أشياعه في الضلال.

ثم جاء المعتزلة فأبلوا أحسن البلاء في الدفاع عن الإسلام، ثم ما لبثوا أن انحرفوا انحرافًا هائلاً عن الجادة، فغلوا في تقدير العقل وحكموه في كل مسائل العقيدة، وقدموه على النصوص الصريحة من الكتاب والسنة، وأصَّلوا لأنفسهم خمسة أصول اتفقوا عليها، وهي: التوحيد والعدل والوعد والوعيد والمنزلة بين المنزلتين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وقد غَلِطوا في كل واحد من هذه الأصول غلطًا بينًا، فاتخذوا من التوحيد

ذريعة لنفي الصفات وتعطيل الذات عنها، ومن العدل ذريعة إلى القول بأن العبد مستقل بخلق أفعاله، وأن الله يريد أفعال العباد ولا يقدر عليها! فهي مخلوقة للعباد وليست مخلوقة لله.

ولزمهم أن يقع في ملكه ما لا يريد، وأن غيره خالق معه.

واتخذوا من مبدأ الوعيد والوعيد حكمهم على الله بوجوب إثابة المطيع وعقاب العاصي، فلا يجوز له عندهم أن يغفر لمذنب، كما لا يجوز له أن يهضم حق من أطاعه!!!

وأما المنزلة بين المنزلتين فمعناها: أنهم لا يسمون مرتكب الكبيرة مؤمنًا ولا كافرًا بل يجعلونه في منزلة بين الإيمان والكفر، ولكنهم يوافقون الخوارج على خلوده في النار مع الكفار.

أما فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: فقد نشطوا فيها حتى أرسلوا دعاتهم إلى كل صقع وبلد، ولكنهم استغلوا ذلك لنشر مذهبهم، واستعدوا خلفاء بني العباس والمؤيدين لهم على من خالفهم، وأظهروا القول بخلق القرآن، وأغروا المأمون بعلماء أهل السنة ليجبروهم على هذا المقالة، فمنهم من قتل، ومنهم من أجابهم إلى ذلك تقية، وقد امتُحن أحمد بن حنبل في ذلك امتحانًا شديدًا وثبته الله.

وقد أظهر هؤلاء المعتزلة بدعًا كثيرة في العقيدة، كقولهم بوجوب اللطف على الله، ووجوب إرسال الرسل، وفعل ما هو الأصلح في حق العبد.

وقالوا: إن المقتول ليس ميتًا بأجله، وبأن الحرام ليس برزق، ونفوا كثيرًا من

أخبار المعاد والبرزخ، فأنكروا سؤال الملكين ونعيم القبر وعذابه، ونفوا الشفاعة والميزان وصحائف الأعمال والصراط الممدود على متن جهنم، وردوا كل ما ورد في ذلك من الأحاديث الصحيحة بحق أنها أحاديث آحاد لا تقبل في باب الاعتقاد.

ونفوا رؤية المؤمنين لله في الآخرة؛ ونفوا كل الصفات الخبرية التي وردت في القرآن والسنة كالوجه واليد والعين والاستواء والنزول إلى غير ذلك مما هو مسطور في كتب الفرق والكلام.

ثم ظهرت الأشعرية أتباع أبي الحسن الأشعري، فكان قدماؤهم على مذهب السلف في الإثبات والإيمان بكل ما وردت به الأخبار من صفات الله واليوم الآخر، ولكن كان عندهم بقايا قديمة من رواسب الاعتزال؛ لأن شيخهم أبا الحسن كان في أول أمره معتزليًّا.

فكانوا ينفون صفات الأفعال الاختيارية بحجة أنها حوادث لا يجوز أن تقوم بالقديم، فلم يثبتوا الله حكمة ولا رحمة ولا محبة ولا كراهية ولا رضا ولا غضبًا.

ونفوا أن يكون متكلمًا بحروف وأصوات مسموعة، ونفوا تأثير الأسباب في مسبباتها.

واستدلوا على وجود الله بأدلة اعتزالية بدعية كدليل الجواهر والأعراض الذي هو في الأصل للمعتزلة ثم تبعهم عليه الأشاعرة، ونفوا تأثير قدرة العبد في فعله، والتزموا وجود قدرة معطلة لا تأثير لها.

وإلى جانب هؤلاء المتكلمين المتنازعين كان يوجد جماعة يقال لهم: المتفلسفة،

قد وقعوا على كتب ترجمت لهم من وضع قدماء الهند واليونان، فأغرموا بها واتخذوها دينًا لهم، واشتغلوا بها دراسة وشرحًا وتحليلاً واختصارًا، ثم حاولوا أن يجروا إليها نصوص الدين ويفسروها بها ليوهموا الأغرار والبسطاء أنها متفقة مع الدين، وأنهما طريقان يؤديان إلى غاية واحدة، مع أن بينهما بُعدَ المشرقين.

وكما أساء هؤلاء المتكلمون إلى العقيدة الإيمانية، فأخرجوها عن بساطتها وسلامة جوهرها، وحشروا فيها عناصرَ أجنبيةً عنها مما درسوه من ثقافات الفرس والهنود واليونان.

كانت هناك جماعة يقال لهم: الصوفية؛ أساءوا إلى شريعة الإسلام وإلى الجانب العملي منه أبلغ إساءة، فوضعوا لأنفسهم رموزًا وإشاراتٍ وقواعدَ للسلوك ليست من الإسلام في شيء، بل هي حرب على الإسلام.

فهم في العقيدة بين القائل بالحلول كالحلاج وأحزابه، وبين قائل بوحدة الوجود كابن عربي وأشياعه.

ولما وجدوا الإسلام يحثُّ على طلب العلم ويجعله فريضة ويرفع أهله درجات، أحرقوا هم ما عندهم من كتب العلم، ولم يجلسوا في حلقة درس، وادعوا أنهم ليسوا بحاجة إلى هذا العلم البشري؛ لأنهم يتلقون عن الله مباشرة حتى يقول قائلهم: «**أخذوا علمهم ميتًا عن ميت، وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت**».

ولما رأوا أن الإسلام يوصي بالتوسط والاعتدال بين مطالب الروح والجسد، وينهى عن الرهبانية وتحريم الطيبات، بالغوا هم في الزهد وقهر النوازع الجسدية

على طريقة «بوذا» وفقراء الهنود ورهبان النصارى، ومدحوا الجوع والعزلة، ولبسوا الخرق والمرقعات، وعاشوا في المجتمع كتنابلة السلطان.

ولما وجدوا الإسلام ينفي كل وساطة بين الله وبين خلقه إلا وساطة التبليغ والرسالة ويثبت أن كل إنسان يستطيع الوصول إلى الله بإيمانه وتقواه؛ أثبتوا هم وسائط لا حصر لها، وزعموا أن كل سالك للطريق محتاج إلى شيخ مسلك ليقذف فيه النور ويضع فيه السر، وقالوا: «إن كل من لا شيخ له فشيخه الشيطان».

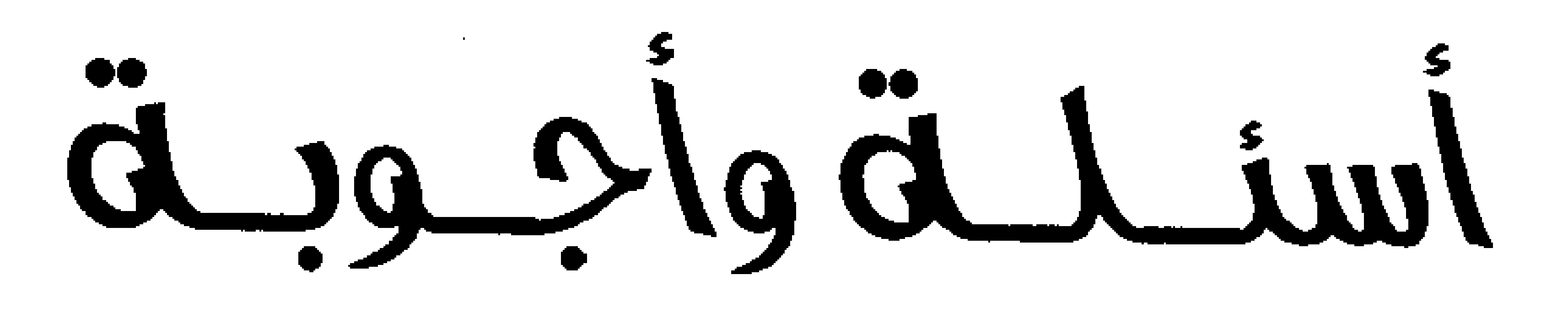
ولما رأوا أن الإسلام يوجب الوقوف عند حدود الله وتعظيم حرماته، ويصف المؤمنين الكاملين بأنهم الذين حافظوا على وصايا الله فأدوا ما افترضه عليهم واجتنبوا ما حرمه، تعدوا هم كل حَدٍّ وانتهكوا كلَّ حرمة، فتركوا الفرائض جملة، وارتكبوا المعاصي جهرة زاعمين أنهم هم أهل الحضرة، وأن الله قد أسقط عنهم التكليف؛ لأنهم قد وصلوا إلى مقام المعرفة والشهود!!!

وقسموا الدين إلى حقيقة وشريعة، ووصفوا الشريعة بأنها القشرة الظاهرة، والحقيقة بأنها اللب الباطن، وزعموا أنهم هم أهل الحقيقة، وأن الشريعة لعوامِّ الخلق، فأزروا بشريعة الله وجعلوها شيئًا مهينًا يخجل الإنسان من النسبة إليه.

وإذا كان لا يمكن في هذه العجالة عد إساءات هؤلاء المتصوفة فنكتفي بهذا القدر الآن، ولنا معهم عودة -إن شاء الله-.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

❊ ❊ ❊


أسئلة وأجوبة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

رسالة:

الحمد لله رب، العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين.

وبعد:

فقد وصلني هذا الخطاب، بعد المقدمة يقول الأخ السائل: قال تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء:٥٩].

وقد سمعت محاضرتكم، ولقد تابعتك وكلي مسامع، ولقد علق بذهني أمور حاكت في صدري وبدرت في ثنايا المحاضرة وداخلني ريب فيها، واتهمت نفسي بالجهل، والعلم رحم بين أهله، لذا رأيت الرجوع إليكم أستقي من مناهلكم العذبة، ولا يزال الرجل عالمًا ما طلب العلم ...

أولاً: قلتَ: إن رسول الله ﷺ لم تكشف له الحجب ولم يَرَ ربه ليلة الإسراء.

ومبلغ علمي: أن الجمهور وابن عباس –حبر هذه الأمة– قد قرروا أن رسول الله ﷺ رأى ربه رؤية حقيقية، بلا كيف وبلا انحصار. وإذا كانت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قد قالت: من زعم أن محمدًا قد رأى ربه فقد أعظم الفرية؛ تريد في الإحاطة لا نفي

الرؤية، على أن عائشة عقد عليها رسول الله ﷺ بمكة وسنها ست سنين، وبنى عليها بعد بدء العام الثاني للهجرة وسنها حوالي تسع سنين.

ثانيًا: قرر جل العلماء أن محمدًا رأى ربه عشر مرات قبل المراجعة في تخفيف الصلاة الخمسين، وتسع مرات في المراجعة بين موسى وربه.

وأنا أؤمن بهذا كل الإيمان فما رأيكم في؟

ثالثًا: هل ترون أن دعوتكم هذه مقصورة عليكم لا يشارككم فيها العلماء الآخرون أو سبقكم بها علماء السلف والخلف؟

رابعًا: هل ترون أن مصدر التشريع هو القرآن والسنة الصحيحة؛ فلا إجماع ولا قياس؟

خامسًا: هل ترون أن العبادة لها طريق مقصور عليها: «رغبًا ورهبًا»؛ «خوفًا وطمعًا».

وما رأيك في أن الآيات لا تفيد القصر وليس فيها ما يدل على القصر ألبتة؟ وأين هو؟

وما رأيك فيمن يعبده ويرقب شرح قلبه وطهارة نفسه ويعبد الله ليستنير فؤاده وتتوالى عليه الفيوضات الربانية والتجليات الإلهية كالحلاج ورابعة العدوية؟

سادسًا: لقد أنحيت باللائمة على الحلاج ورابعة العدوية وأولت كلامهما وخرجته تخريجًا أخرجهما من زمرة العابدين والمسلمين، وقد ماتا.

والسنة تقول: اذكروا محاسن موتاكم، وكفوا عن مساوئهم.

ألسنا نستطيع أن نؤول كلامهما على المجازات، ولا نتهم أحدًا بالشرك أو العصيان أو العته واللبس؛ ولن نقر أن يلعن آخرُ هذه الأمة أولَـهَا ...

سابعًا: من أصحاب الطرق مشايخ إسلام كالشرقاوي والدمهوجي، وكانوا يذكرون ويطعمون ويدعون إلى الله فهل يدخلون في زمرة من يطبل ومن يزمر، أكلُّهم سواء؟

هناك من ينذر لله، ومن ينذر لخلق الله، فلم لا نسدده؟ وهل نكفره؟ لا، لا، لا.

*** التلخيص والجواب:**

ويتلخص هذا الخطاب في الأسئلة الآتية:

١ - دعوى أن ابن عباس ومعه جمهور الصحابة قد قرروا أن رسول الله ﷺ رأى ربه ليلة الإسراء.

٢ - تأويل حديث عائشة رضي الله عنها أنها أرادت نفي الإحاطة لا نفي الرؤية.

٣ - دعوى أن جمهور العلماء قد قرروا أن محمدًا ﷺ رأى ربه عشر مرات قبل المراجعة في تخفيف الصلاة، وتسع مرات أخرى أثناء المرجعة.

٤ - سؤال مصدر التشريع: هل هو القرآن والسنة وحدهما أم معهما الإجماع والقياس؟

٥ - سؤال عن العبادة: هل يجوز قصرها على كونها بدافع الرغبة والرهبة، وما دليل القصر؟

وما حكم من يعبد الله يبتغي بذلك شرح قلبه وطهارة نفسه وتنزل الفيوضات الإلهية؟

٦- دفاع عن الحلاج ورابعة العدوية وإنكار التعرض لهما ووجوب تأويل كلامهما.

٧- سؤال عن أصحاب الطرق العلماء من أمثال أبي الوفاء الشرقاوي، والدمهوجي وهل يجوز أن تضمهم في سلك الجهلة الصوفية أصحاب الطبل والزمر؟

هذا هو موجز ما جاء في خطاب الأخ الكريم من دعاوى وأسئلة، ونحن نستعين بالله ﷻ في الإجابة عليها واحدة واحدة عسى أن ينتفع بها جمهور المؤمنين.

* الجواب:

ج١: **أما دعوى أن ابن عباس وجمهور الصحابة ﷺ كانوا متفقين على إثبات رؤية النبيﷺ لربه ليلة الإسراء**؛ فهي دعوى غير صحيحة، بل إن هذه المسألة كانت موضع خلاف بين الصحابة أنفسهم؛ فكانت عائشة وابن مسعود وجمهور الصحابة ينفون الرؤية؛ ولم يثبتها فيما نعلم إلا ابن عباس ومن أخذ عنه من التابعين.

وأنا أردها -إن شاء الله- بكل ما يحضرني من الأحاديث المتعلقة بهذا الموضوع؛ تجلية للأمر.

روى الإمام مسلم في صحيحه بسنده؛ عن مسروق قال: «كنت عند عائشة فقالت: يا أبا عائشة، ثلاث من تكلَّم بواحدة منها فقد أعظم على الله الفرية.

قلت: ما هي؟

قالت: من زعم أن محمدًا رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية.

قال: وكنت متكئًا فجلست؛ فقلت يا أم المؤمنين: أنظريني ولا تعطليني؛ ألم يقل الله ﷻ : ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾ [التكوير:٢٣].

﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ [النجم:١٣]؟

فقالت: أنا أول هذه الأمة سأل رسول الله ﷺ عن ذلك فقال: **إنما هو جبريل، لم أره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين منهبطًا من السماء سادًّا عظم خلقه ما بين السماء والأرض.**

فقالت: أَوَلَا تسمع الله يقول: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام:١٠٣].

وأن الله يقول: ﴿۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾ [الشورى:٥١]؟

قالت رضي الله عنها : ومن زعم أن رسول الله ﷺ كتم شيئًا من كتاب الله فقد أعظم الفرية، والله يقول: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ [المائدة:٦٧].

قالت: ومن زعم أنه يخبر بما يكون في غد فقد أعظم على الله الفرية؛ والله يقول: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ﴾ [النمل:٦٥]».

ج٢: فأنت ترى في هذا الحديث أن عائشة رضي الله عنها اعتمدت في إنكارها للرؤية على أن المراد بالذي رآه النبي ﷺ في آيات النجم والتكوير إنما هو جبريل عليه السلام وليس

هو الله سبحانه، وذكرت أن رسول الله ﷺ هو الذي أخبرها بذلك.

وسياق الآيات نفسها يفيد ذلك قطعًا؛ فإن الحديث في كلتا السورتين كان عن جبريل؛ ففي سورة النجم يقول الله ﷻ: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم:٥-١٤].

فالضمائر كلها في «**استوى**»، و«**دنا**»، و«**تدلى**»، و«**كان**»، و«**أوحى**»، و«**رآه**»، راجعة إلى جبريل عليه السلام.

وكذلك في سورة التكوير يقول الله سبحانه: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝١٩ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ۝٢٠ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ۝٢١ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ۝٢٢ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾ [التكوير:١٩-٢٣].

فهذه كلها أوصاف جبريل عليه السلام، فيكون الضمير في قوله: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ﴾ عائدًا عليه قطعًا.

وأما احتجاج عائشة رضي الله عنها على نفي الرؤية بقوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ فهو اجتهاد منها؛ حيث ظنت أن نفي الإدراك مستلزم لنفي الرؤية.

والحق: أنه لا يستلزم، فإن الإدراك رؤية خاصة، وهي الرؤية على جهة الإحاطة والوقوف على الحقيقة، فنفيه لا يستلزم نفي مطلق الرؤية كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه:١١٠]. فكذلك يرونه ولا يحيطون به رؤية.

وأما احتجاجها بالآية الأخرى وهي قوله تعالى من سورة الشورى: ﴿۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾ [الشورى:٥١]. فلعله أقوى من سابقه؛ حيث حصر الله ﷻ تكليمه لأحد من البشر في هذه الثلاثة، وليس من بينها أنه يكلمه مع الرؤية.

على أنه ينبغي أن يحمل النفي في الآيتين على كونه في الدنيا؛ فهو عام مخصوص بما ثبت بالآيات والأحاديث الصحيحة من أن المؤمنين يرون ربهم في الآخرة عيانًا بأبصارهم كقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٢-٢٣].

وقولهﷺ: «**إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب، لا تضامون في رؤيته**».

وأما الروايات عن ابن عباس رضي الله عنهما فقد اختلفت؛ فبعضها مطلق وبعضها مقيد برؤية القلب أو الفؤاد، وفي بعضها أنها رؤية النور الذي هو الحجاب.

أخرج الترمذي من طريق الحكم بن أبان، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: «رأى محمدﷺ ربه. قلت: أليس الله يقول: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾؟ قال: ويحك، ذاك إذا تجلى بنوره الذي هو نوره، وقد رأى ربه مرتين».

فقول ابن عباس: «ذاك إذا تجلى بنوره الذي هو نوره»؛ دليل على أنهﷺ لم ير نور الذات الذي هو نوره وصفته، ولكنه رأى نور الحجاب.

ويشهد لهذا ما روي عن أبي ذر رضي الله عنه في صحيح مسلم فقال: سألت رسول اللهﷺ: هل رأيت ربك؟ قال: «**نور أنى أراه**». أي: حال بيني وبين رؤيته النور الذي هو حجابه فكيف أراه.

وفي وراية أخرى: «رأيت نورًا».

وأخرج مسلم في صحيحه أيضًا بسنده عن ابن عباس؛ في قوله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ [النجم:١١]. ﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ﴾ [النجم:١٣]. قال: «رآه بفؤاده مرتين».

وأصرح من ذلك في أن الرؤية إما كانت بالقلب لا بالعين: ما رواه ابن مردويه من طريق عطاء عن ابن عباس قال: «لم يره رسول الله ﷺ بعينه إنما رآه بقلبه».

ومن مجموع هذه الأحاديث نستخلص: أن الصحابة ﷺ متفقون على نفي الرؤية البصرية للذات العلية، بل إن من أثبت منهم كابن عباس فإنما عَنَى بها رؤية القلب، ومن نفاها كعائشة وابن مسعود فإنما أراد رؤية العين للذات.

قال العلامة ابن كثير في تفسيره بعدما ساق رواية مسلم عن ابن عباس: وفي روايته عنه أنه أطلق الرؤية، وهي محمولة على المقيدة بالفؤاد، ومن روى عنه بالبصر فقد أغرب؛ فإنه لا يصح في ذلك شيء عن الصحابة ﷺ.

وأما ما روي عن جماعة من السلف كعروة بن الزبير، والحسن البصري، وابن شهاب الزهري، والإمام أحمد بن حنبل أنهم كانوا يثبتون الرؤية البصرية فلعلهم فهموا ذلك من الرواية المطلقة عند ابن عباس أو أرادوا رؤية الحجاب.

وعلى كل حال فهم محجوجون بما تقدم من الأحاديث التي تنفي الرؤية بالبصر لاسيما حديث أبي ذر ﷺ.

وقد نفى ابن القيم عن الإمام أحمد أنه قال: رآه بعيني رأسه.

وقال: إن من حكى ذلك عنه فقد غلط.

ونقل عن شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية قوله: «ولكن لم يقل أحمد -رحمه الله تعالى- أنه رآه بعيني رأسه يقظة، ومن حكى عنه ذلك فقد وهم، ولكن قال مرة: رآه بقلبه؛ وقال: رآه بفؤاده؛ فحُكيت عنه روايتان، وحُكيت عنه الثالثة من تصرف بعض أصحابه أنه رآه بعيني رأسه؛ وهذه نصوص أحمد موجودة ليس فيها ذلك».

وبعد:

فلعل حضرة السائل حين يقرأ هذا البيان والتحقيق؛ يذهب عنه ما حاك في صدره واتهامه لعائشة بأنها كانت صغيرة لم تشهد حادثة الإسراء؛ فابن عباس كان أصغر منها، وهي إنما تخبر عن رسول الله ﷺ أن الذي رآه نزلة أخرى ورآه بالأفق إنما هو جبريل.

ولو سلمنا أنه الحق تعالى كما رأى ابن عباس فهي رؤية فؤاد لا عين؛ قال تعالى: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾، والله أعلم.

ج٣: أما دعوى أن جمهور العلماء قرروا أن محمدًا ﷺ رأى ربه عشر مرات قبل المراجعة وتسع مرات عند المراجعة؛ فلست أدري من أين جاء حضرته بهذا الكلام وفي أي كتاب وجده؟ اللهم إلا إن يكون قد وقع عليه في كتاب من كتب هؤلاء الصوفية الذين هم موضع إعجابه وثقته.

وكان الأجدر بالسائل ألا يلقي الكلام هكذا على عواهنه، فهو لم يبين لنا مَنْ مِنَ العلماء قرر ذلك، ولا في أي كتاب كان ذلك التقرير الخطير، لعل انتصار سيادته

لمذهب القائلين بالرؤية هو الذي خيل إليه ما لا وجود له!

على أن مراجعة النبي ﷺ لربه لم تكن تسعًا إلا على رواية أنه حط عنه خمسًا خمسًا، وفي بعض الروايات الصحيحة أنه كان يحط عنه عشرًا عشرًا؛ فتكون المراجعات خمسًا لا تسعًا.

ج٤: وأما سؤال عن مصدر التشريع هل هو الكتاب والسنة أم يضاف إليهما غيرهما كالإجماع والقياس؟

فأنا أقول بملء الفم: إنه لا مصدر لهذا الدين كله، أصوله وفروعه وعقيدته وشريعته، وعباداته ومعاملاته، إلا كتاب الله ﷻ الذي أنزله تبيانًا لكل شيء، وإلا سنة رسوله ﷺ التي جاءت تفسيرًا وبيانًا لآيات الكتاب، تقيد مطلقه، وتخصص عمومه، وتوضح مبهمه، كما قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل:٤٤].

وأما الإجماع؛ فإن حجته مقيدة بالاستناد إلى النص؛ إذ لا يعقل أن يجمع الصحابة على أمر لا يجدون له مستندًا، ولكن أحيانًا يضاف الحكم إلى الإجماع لظهوره فيه، وينسى النص الذي كان أصلاً له.

ووقوع الإجماع من الصحابة ﷺ على أمر بعد وفاة رسول الله ﷺ كان متعذرًا لتفرقهم في الأمصار والبلدان، ولو فرض وقوعه فلا يمكن أن يقع على خلاف النص؛ فإن الله عصمهم أن يجتمعوا على ضلالة.

وأما إجماع من بعدهم فاختلف في حجته لو وقع مع أنه يكاد يكون مستحيلاً.

وأما القياس؛ فصحيحه لا يكون إلا موافقًا للنصوص، ولا يمكن أن يأتي قياس صحيح على خلاف النص أبدًا، ولا يجوز اللجوء إلى القياس إلا بعد البحث والتفتيش عن النصوص.

وقد رجَّح أحمد -رحمه الله- الأخذ بالحديث الضعيف على العمل بالقياس، ولم يتفق العلماء على حجية القياس، بل إن الظاهرية ينكرونه أشد الإنكار.

ولابن حزم الأندلسي -رحمه الله- كلام بديع جدًّا في إبطال القياس في مقدمة كتابه العظيم الموسوم بـ «المحلى» لولا خوف الإطالة لنقلته؛ فليرجع إليه من شاء.

وأخيرًا: نحب أن نقول لحضرة السائل وغيره ممن يتعلقون بما لا يُدرَى صحته أو وقوعه من إجماع أو قياس، ليتفلتوا بها من سطوة النص ويتخذوا منها مطايا للابتداع، إن ذلك ليس من شأن المؤمنين الذين وصفهم الله ﷻ بأنهم إذا دُعوا إلى الله ورسوله؛ أي: إلى حكم الله ورسوله؛ قالوا: سمعنا وأطعنا، فلا يشككون في النصوص ولا يعارضونها برأي ولا استحسان ولا قياس.

ج٥: وأما سؤاله عن العبادة وهل يجوز قصرها على كونها بدافع الخوف والرجاء فلا يجوز أن تكون مثلاً من أجل طهارة القلب واستنارته وتنزيل الفيوضات عليه؟

فنقول له: إن كل عبادة لا تقوم على أساس من الخوف والرجاء فهي ليست عبادة معتدًّا بها ولا يُسمَّى صاحبها عابدًا لله ﷻ وإنما هو عابد لهواه؛ فإن العبادة مأخوذة من قولهم: عبَّدت الطريق؛ أي: ذلَّلته ليسهل السير فيه، فلابد فيها من تمام الذل لله وكمال الخشية ونهاية الرجاء والحب.

ومن أطاع أحدًا لمحبته دون أن يخافه لا يقال: إنه عبده، كطاعة الرجل لزوجته وولده، وكذلك من أطاع أحدًا خوفًا منه وهو يكرهه لا يقال: عبده، كطاعة الناس لبعض الظلمة والجبارين وقلوبهم تلعنهم، ولولا خوف بطشهم ما أطاعوهم.

على أن الخوف في ذاته عبادة أشاد القرآن بها ومدح أهلها وأثنى عليهم بما لم يُثن على غيرهم، فجعلهم -وحدهم- أهل المعرفة والعلم بالله.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُا۟﴾ [فاطر:٢٨].

ومعنى هذه الآية: أن من لم يخش الله فهو أجهل الجهلاء.

كما خصهم بالتذكر والانتفاع بالآيات المنزلة؛ فقال: ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ﴾ [الأعلى:١٠].

وجعلهم هم أهل الفوز والفلاح؛ فقال: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ [النور:٥٢].

وجعل الخوف علامة الإيمان الصحيح؛ لقوله: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٧٥]. فشرط للحكم بإيمانهم خوفهم من الله ﷻ .

وجعل الجنة للخائفين؛ فقال: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات:٤٠-٤١].

وقال: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن:٤٦].

وجعل الخشية هي الغاية من بعثة الرسل -عليهم السلام- فقال لموسى وهارون

عندما أرسلهما إلى فرعون: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ﴾ [طه:٤٤].

وجعلها من صفات السابقين المقربين فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ۝٥٧ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ ۝٥٨ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ ۝٥٩ وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ۝٦٠ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ [المؤمنون:٥٧-٦١].

وجعل الخوف شرطًا في الذكر والدعاء، فقال من سورة الأعراف: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ﴾ [الأعراف:٢٠٥].

وقال من سورة الأعراف نفسها: ﴿وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [الأعراف:٥٦].

وجعله كذلك صفة المنعَم عليه بالهداية والتوفيق؛ فقال من سورة المائدة: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمَا ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ﴾ [المائدة:٢٣].

وأهل الخوف من الله في الدنيا هم أهل الأمن في الآخرة، كما جاء في الحديث القدسي: «**لا أجمع على عبدي خوفين، ولا أجمع له أمنين؛ من خافني في الدنيا أمنته في الآخرة، ومن أمنني في الدنيا أخفته في الآخرة**».

وأثنى بالخوف على كثير من أنبيائه ورسله، فقال عن زكريا وأهل بيته: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء:٩٠].

وقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ

رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء:٥٧].

وليت شعري إذا كان العبد لا يرجو ثوابًا ولا يخاف عقابًا، فما الذي يبقى في قلبه من معاني الذل والفقر والاضطرار واللجأ إلى الله والاستغاثة به؟

أليس هذا هو التأله، وإظهار الاستغناء عن الله، فإن الذي لا يخاف أحدًا ولا يرجوه هو الله ﷻ وحده.

وهذا رسول الله ﷺ وهو أكمل الخلق كلهم عبودية لله، فلا مطمع لأحد في الوصول إلى درجته؛ يقول: «**والله إني لأعلمكم بالله وأشدكم له خشية**».

وبعد؛ فلعل حضرة السائل قد امتنع أن هذه النزعة الصوفية نزعة الكبرياء والتأليه، ومعاملة العبد لله ﷻ معاملة الند للند، فليس هو بحاجة إليه، ولكن يبادله حبًّا بحب، كما يحب الصديق صديقه مع استغناء كل منهما عن الآخر، فهو لا يبالي بناره التي خوف بها عباده، ولا يرغب في جنته التي شوقهم إليها، ويزري بكل ما ورد في القرآن من وعد ووعيد، وترغيب وترهيب، ولا يحدث في نفسه أي أثر.

فأين هذا الصوفي الجريء على ربه الذي لا يخاف لقاء ربه من عمر الفاروق الذي قام الليل بآية من كتاب الله ذكرته بهول الموقف وشدة المطلع، وهي قوله تعالى من سورة الصافات: ﴿وَقِفُوهُمْۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾ [الصافات:٢٤]. فمازال يرددها حتى وقع مغشيًّا عليه؟

وكذلك عندما قرأ من سورة الطور: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ۝ مَا لَهُۥ مِن دَافِعٍ﴾ [الطور:٧-٨].

وأين هذا الصوفي المتعالي من قوله ﷺ: «**ألا من مشمر إلى الجنة، فإن الجنة**

والله لا خطر لها»؟

وقوله: «من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة».

نعم، إن الجنة سلعة الله، من عمل لها نالها، ومن رغب عنها حرمها، نسأل الله ﷻ أن يجعلنا من أهلها بمنه وكرمه؛ فإنها الدار التي أعدها لأحبابه وأوليائه وأهل مخافته ورجائه؛ إنه سميع الدعاء.

ج٦: وأما دفاعه عن الحلاج ورابعة العدوية وأشباههما من الصوفية بأنهم قد ماتوا وأفضوا إلى ما قدموا فلا يجوز إلا ذكر محاسنهم والغض عن مساويهم.

فنقول له: إننا لا نحارب أشخاص هؤلاء الموتى، فليس بيننا وبينهما ترة، ولكن نحارب المبادئ الهدامة والعقائد الفاسدة التي وضعوها في طريق الدين وأضلوا بها عامة المسلمين وأشباه العامة من المثقفين المدنيين.

وهذا أمر متعين على علماء الدين الذين أخذ الله عليهم الميثاق أن يبينوا للناس الكتاب ولا يكتموه، وأن يحذروا الناس من البدع والضلالات التي تركها هؤلاء الصوفية وراءهم.

ولأجل هذه الغاية قامت جماعة أنصار السنة تبين للناس كتاب الله ﷻ وسنة رسوله ﷺ وتحض على الاستمساك بهما والوقوف عندهما، وتحارب كل دخيل مستحدث لم يشرعه الله ولا رسوله، وتكشف للناس تلبيسات المبتدعة من الصوفية وغيرهم.

وأنا لم أقل في الحلاج إلا ما يفهم من صريح كلامه وهو أنه حلولي يدين بحلول الله ﷻ في بعض عباده ممن وصلوا إلى درجة خاصة من الصفاء والمحبة، وكل كلامه في الحلول كقوله: «ما في الجبة إلا الله»!

وقوله في بعض شعره:

أنا من أهوى ومن أهوى أنا ... نَحن روحان حللنا بدنا
فإذا أبصرتني أبصرته ... وإذا أبصرته أبصرتنا

فأي ضمير مسلم يوقر الله وينزهه عن ممازجة خلقه يستسيغ مثل هذا الكلام، أو يتردد في الحكم على صاحبه بالكفر والزندقة؟

وهذا هو ما حصل فعلاً، فقد حكم العلماء في عصر الحلاج بكفره وأفتوا بحل دمه.

وأما محاولة تأويل كلامه بما لا يحتمله من معان مقبولة كما يحلو لبعض الناس الذين يحسنون الظن بهؤلاء الصوفية، ويستبعدون أن يكونوا قد أرادوا بكلامهم هذه المعاني الفاسدة؛ فهي محاولات لتبرير الكفر والاعتذار عنه.

وأما رابعة العدوية؛ فيظهر أنها من هؤلاء الصوفية النظريين أصحاب عقيدة الحلول ووحدة الوجود، ولكنها غلت في دعوى الحب حتى خرج عن القصد؛ مثل قولها وهي تطوف الكعبة: «لم يبق بيني وبينك إلا هذا الصنم».

فما معنى هذه العبارة؟ إذا لم يكن هو الازدراء ببيت الله الذي أمرنا بتعظيمه وحبه وإنكارها لشريعة الطواف واعتقاد أنها لا تقرب إلى الله بل تحجب عن الله.

ومثل قولها في شعرها:

أحبك حبَّين حب الْهَوىٰ	وحب لأنك أهل لذاكا
فأما الذي هو حب الْهَوىٰ	فشغلي بذكر عمن سواكا
وأما الذي أنت أهل له	فكشفك للحجب حتىٰ أراكا

فهل يجوز لمسلم يوقر الله ويعظمه أن يطلق مثل هذه الكلمات في جنب الله فيقول: إنه يحبه حب الهوى؟ أليس ذلك هو سمة الحب الرخيص المبتذل حين يهوى الرجل المرأة وتهوى المرأة الرجل لقضاء مأرب دنيء.

وما معنى اشتغالها بذكر الله عمن سواه، والرسل -عليهم الصلاة والسلام- وهم كانوا أشد الناس ذكرًا لله، كانوا يقومون بمصالح أممهم وبيوتهم، ويحدثون الناس، ويسمعون منهم، ويفصلون فيما يقع من المنازعات بينهم.

فهل يعقل أن يتمحض أحد من البشر لذكر الله حتى لا يذكر غيره؟

بل هذا شأن الملائكة الذي خلقوا للعبادة وحدها، فلا تشغلهم عنها مطالب الحياة وحاجات البشرية.

وما معنى أن تطلب من الله أن يكشف لها الحجب حتى تراه وهي تعلم أن موسى وهو كليم الله طلب الرؤية فمنعها، ومحمدﷺ وقد وصل إلى أعلى درجات القرب، ومع ذلك حال الحجاب بينه وبين رؤيته لربه.

إنه ليس لله حبان كما تدعى رابعة، وإنما هو حب واحد يحمل العبد على الذل له والرغبة فيما عنده؛ والشوق إلى لقائه والرجاء في رحمته واتقاء مساخطه، ودوام

ذكره وشكره وموالاة أوليائه ومعاداة أعدائه، والجهاد في سبيله بالنفس والمال، وأن يكون الله ورسوله أحب إليه من أهله وولده ومن أبيه وأمه ومن الناس أجمعين.

ج٧: وأما سؤاله عن أمثال الشرقاوي والدمهوجي وغيرهما من مشايخ الطرق؛ فنحن لا نفرق بين أحد منهم، فعالمهم وجاهلهم سواء، إذ لو كان هؤلاء يحترمون علمهم لوقفوا عند حدود الكتاب والسنة، ولم يتخذوا لهم دراويش وأتباعًا يأتمرون بأمرهم ويسارعون في طاعتهم، بل لاكتفوا بنشر العلم الصحيح؛ ولم يجعلوا من بيوتهم قبلة يحج الناس إليها متبركين متوسلين.

ونحن كما قلت -غير مرة-: لا نغمط لأحد فضلاً ولا ننتحل له عيبًا، بل نقول له: أحسنت فيما أحسن فيه، ونقول له: أسأت فيما أساء فيه.

وميزان إحسان الرجل وإساءته: هو مدى اتباعه للكتاب والسنة، فهما عندنا ميزان كل ما يصدر عن الناس من أقوال وأعمال.

ونسأل الله العصمة من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، ومن يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

❋ ❋ ❋

سؤال: أرجو بيان درجة صحة هذه الأحاديث للأهمية ولكم الشكر؟

- روي عن عمر رضي الله عنه مرفوعًا أن أدم عليه السلام رأى اسم محمد ﷺ مكتوبًا على العرش، وأن الله تعالى قال لآدم: «**لولا محمد ما خلقتك**». أخرجه الحاكم في المستدرك، الجزء الرابع.

- عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**أتاني جبريل، فقال: إن الله يقول: لولاك ما خلقت الجنة، ولولاك ما خلقت النار**». أخرجه الديلمي في مسند الفردوس؛ الجزء الخامس.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «أوحى الله إلى عيسى: آمن بمحمد، ومر أمتك أن يؤمنوا به، فلولا محمد ما خلقت آدم ولا الجنة ولا النار، ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب، فكتبت عليه: لا إله إلا الله، محمد رسول الله؛ فسكن». أخرجه الحاكم وصححه، وأقره السبكي في شفاء السقام، والبلقيني في فتاويه.

الجواب: هذه الأحاديث التي وردت في السؤال كلها غير صحيحة، ولم يجئ شيء منها في الصحيحين ولا في السنن والمسانيد المعتبرة، ولا عبرة بتصحيح الحاكم أو غيره؛ فإنه معروف بتساهله، وقد استدرك على الشيخين أحاديث كثيرة زعم أنها على شرطهما، وغرضه من ذلك الترويج لها، وهي ليست بشيء أصلاً.

وخصائص نبينا ﷺ قد وردت في القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة، وليس منها أن الله خلق الأشياء جميعًا من أجله.

فمن خصائصه التي نطق بها القرآن: أنه خاتم النبيين لا نبي بعده.

قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب:٤٠].

ومنها: أنه يشفع في عموم الخلق يوم القيامة ليصرفهم الله من الموقف إلى فصل القضاء بينهم.

هذا أصح الأقوال في تفسير المقام المحمود المذكور في قوله تعالى من سورة الإسراء: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء:٧٩].

ومنها: عموم رسالته إلى جميع أهل الأرض بل وإلى الثقلين من الإنس والجن.

قال تعالى من سورة الأعراف: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف:١٥٨].

وقال من سورة الأنبياء: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧].

وقال من سورة سبأ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ:٢٨].

ومنها: تفضيل أمته على سائر الأمم، وهذا بالضرورة يقتضي تفضيله على سائر الرسل.

وقال تعالى من سورة البقرة: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة:١٤٣].

وقال من سورة آل عمران: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران:١١٠].

ومنها: البشارة في الكتب السابقة وعلى لسان المسيح عليه السلام آخر أنبياء بني إسرائيل.

قال تعالى من سورة الأعراف: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾ [الأعراف:١٥٧].

وقال من سورة الصف: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف:٦].

ومنها: حفظ الكتاب الذي أنزل عليه مما وقع للكتب قبله من التحريف والتبديل، وجعله معجزة باقية أبد الدهر، كما قال تعالى من سورة الحجر: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر:٩].

وأما خصائصه ﷺ من السنة: فقد صح عنه أنه قال: «**أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فعنده مسجده وطهوره، وبعثت إلى الناس كافة وكان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة، وأعطيت الشفاعة**».

وفي بعض الروايات: «**وأوتيت خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يعطهن أحد قبلي، وأوتيت مفاتيح خزائن الأرض**».

وصح عنه كذلك أنه قال: «**إذا سمعتم النداء فقولوا مثلما يقول المؤذن، ثم صلوا علي؛ فإن من صلى على مرة صلى الله عليه بها عشرًا، ثم سلوا الله لي الوسيلة؛ فإنها درجة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله أرجو أن أكون هو**».

وثبت أيضًا في الصحيح عنه ﷺ: «**أنا سيد ولد آدم ولا فخر، أنا أول من تنشق عنه الأرض، وأول من يجوز الصراط، وأول من يحرك حلق الجنة**».

وقال ﷺ: «**لكل نبي دعوة مستجابة، وقد تعجل كل نبي دعوته في الدنيا، وخبأت دعوتي شفاعة لأمتي، فهي نائلة إن شاء الله من مات لا يشرك بالله شيئًا**».

فهذه جملة خصائصه التي لا يباري فيها أحد.

فقد نطقت بثبوتها الآيات والأحاديث الصحيحة كما قدمنا.

أما أن الله خلق الأشياء كلها من أجلهﷺ فلو كان صحيحًا لتوفرت الدواعي على نقله، ولم تقتصر روايته على مثل الحاكم والديلمي، فإن المنقبة فيه أعظم لو جاز أن يكون لأحد من الناس.

على أن هذا معارض لما صرحت به الآيات من أن الحكمة في خلق المكلفين إنما هي عبادة الله ومعرفته وابتلاء المكلفين واختبارهم.

قال تعالى من سورة الذاريات: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات:٥٦].

وقال تعالى من سورة الملك: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك:٢].

والذي يظهر: أن هذا القول قد اخترعه غلاة المتصوفة يضاهئون به قول النصارى في عيسى الطَّيْلا حيث زعموا أنه خُلق أولًا، ثم وكل الله إليه عملية الخلق والإيجاد، وأنه هو الذي يحاسب الخلق يوم الدينونة... إلى غير ذلك.

كما نهانا عنه نبيناﷺ من الغلو الممقوت حيث قال: «**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، وإنما أنا عبد؛ فقولوا: عبد الله ورسوله**».

والذي يقرأ كتب هؤلاء المتصوفة لاسيما كتاب: «**الإنسان الكامل**» للجيلي يعرف كيف غلوا في هذا الباب مثل غلو النصارى أو أشد.

وقد افتتن بكلامهم كثير من الناس حتى ممن ينتسبون إلى العلم والدين،

وجرى هذا القول على ألسنتهم وفي أشعارهم كما يقول البوصيري:

وكيف تدعو إلى الدنيا ضرورة من   لولاه لَمْ تَخرج الدنيا من العدم

بل ويشتد فيغلوه -مرة أخرى- حين يقول مخاطبًا النبيﷺ:

فإن من جودك الدنيا وضرتها   ومن علومك علم اللوح والقلم

فنسأل الله لنا ولجميع إخواننا السلامة من الزيغ والانحراف والتزام سبيل القصد والإنصاف، إنه سميع مجيب.

* * *

سؤال: ما حكم من ينسب إلى النبي -صلوات الله وسلامه عليه- صفات تخرجه عن الطبيعة البشرية كأن يقول: إنه خلق من نور الله، وأنه نور عرش الله، وأن قدميه لا يظهر لهما أثر إذا وطئت الأرض الرملية، وأنه ليس له ظل، مستدلًا بقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا﴾ [الأحزاب:٤٥-٤٦]. **فما حكم ذلك القائل ومعنى هذه الآية؟**

الجواب:

لقد كان الغلو في تعظيم المخلوقين من الأنبياء والصالحين هو أصل ما وقع في العالم من الشرك وعبادة الأوثان.

فقد خرج هذا الغلو بكثير من الناس إلى اعتقاد أن هؤلاء ليسوا بشرًا كسائر الناس، ولكنهم يتميزون بطبيعة الإلهية، فتراهم ينسبون إليهم القدرة على فعل الخوارق والمعجزات والكشف عن الغيبيات والأمور المستقبلة والتأثير في العالم الأرضي

بقوة ذاتية موجودة فيهم، فيحضرون الغائب، وينزلون الأمطار، ويجرون على من يغضبون عليه المصائب والويلات.

ولهذا حرص الإسلام، وهو دين التوحيد الخالص من شوائب الشرك والوثنية، أن يؤكد في كل مناسبة أن الأمر كله لله، وأن ليس لمخلوق مهما كان قربه ومنزلته شركة معه في خلق شيء ولا في تدبير أمر، وأن كل من سواه مربوب محدث وعاجز فقير، لا يملك لنفسه فضلاً عن عابديه نفعًا ولا ضرًّا، لا يعلم من الغيب إلا ما أطلعه الله عليه مما شاء أن يطلع عليه رسله وأنبياءه.

وقد جاء القرآن الكريم يؤكد بشرية الرسول ﷺ، وورد ذلك في صورة الأمر له أن يقول ذلك، حتى يكون شهادة منه على نفسه وحجة على كل من يغلو فيه.

مثل قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾ [الأنعام:٥٠].

وقوله في سورة الأعراف: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف:١٨٨].

وقوله من سورة الكهف: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [الكهف:١١٠]. ومثل هذا في القرآن كثير.

ولقد جاءت السنة المطهرة بما يوافق الكتاب الكريم في النهي عن الغلو، فصح عنه ﷺ أنه قال: «**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، وإنما أنا عبد؛**

فقولوا: عبد الله ورسوله».

وقالﷺ: **«إنما أنا بشر، وإنكم تختصمون إلي، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته فأقضي له على ما أسمع»**.

وبناء على ذلك: يكون من خرج على النص الثابت بصريح الآيات وصحيح السنة فنسب إلى الرسولﷺ بعض الصفات التي تخرجه من دائرة البشرية يكون مرتدًّا والعياذ بالله.

على أن هؤلاء يكذبون عليه أشنع الكذب، ويختلقون له من الصفات ما لا أصل له في كتاب ولا سنة صحيحة؛ فلم يرد عنه أنه أخبر عن نفسه بأنه خلق من نور الله، ولا أنه أول المخلوقات، ولا أنه نور عرش الله، إلى غير ذلك مما يضاهي به غلاة هذه الأمة قول الذين كفروا من قبل.

وكل ما نُسب إليه -عليه الصلاة والسلام- من ذلك فهو باطل مفترى.

وفيما ورد من خصاله وصفاته في الكتاب والسنة ما يكفي لبيان علو درجته، وأنه من الله ﷻ بالمنزلة التي يقصر عن بلوغها كل ملك مقرب وكل نبي مرسل، كهذه الآية يستدل بها هؤلاء الغلاة من سورة الأحزاب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا﴾ [الأحزاب:٤٥-٤٦].

فإن منصب الشهادة على الناس كلهم لا يناله إلا من بلغ غاية الكمال في تحقيق المشهود به، فيكون خير الناس وأكملهم، وهو المبشر لكل من أطاعه واتبعه، والنذير لك من عصاه وخالفه، والداعي إلى الله على هدى وبصيرة، وهو السراج المنير الذي

يخرج الناس من ظلمات الشكوك إلى النور، والريب والكفران إلى نور العلم واليقين والعرفان.

وأما اعتقاد أنه ﷺ ليس له ظل، وما شابهه فهو مبني على اعتقاد أنه ليس بشرًا؛ فهو كذب على كذب.

والحاصل: أنه لا يجوز لأحد أن يصفه ﷺ بغير ما وصفه الله به، وكل ما وراء ذلك هو هراء صوفية ولوثات وثنية.

❊ ❊ ❊

سؤال: ما رأي أهل السنة في المواقف التي يجب فيها تسييد الرسول ﷺ والمواقف التي لا يجب فيها التسييد؟

الجواب:

يجب أن يعلم أنه لا خلاف بين المسلمين في أن نبينا محمدًا ﷺ سيد الأولين والآخرين، وقد صح أنه قال: «**أنا سيد ولد آدم ولا فخر**».

ولكن ينبغي أن يعلم كذلك أن السيادة نوعان:

١- **سيادة مطلقة**؛ وهذه لا تكون إلا لله ﷻ؛ ولهذا ردَّ النبي ﷺ على من قال له: أنت سيدنا، بقوله: «**إنما السيد الله**».

٢- **وسيادة مقيدة**؛ كما يقال: فلان سيد قومه أو قبيلته، وهذه سيادة يجوز أن يوصف بها المخلوق.

كما قال سبحانه عن يحيى بن زكريا -عليهما السلام-: ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا

﴿مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آل عمران:٣٩].

وكما قال النبي ﷺ للأوس حين رأى سعد بن معاذ مقبلاً: «**قوموا إلى سيدكم**».

وكما قال على المنبر وإلى جانبه الحسن ابن فاطمة رضي الله عنهما: «**إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين**». رواه البخاري.

وعلى هذا؛ فإذا كنا في معرض المدح والتعريف به ﷺ حسن أن نصفه بذلك.

وأما في مواطن العبادة: الأذان والتوحيد والتشهد ونحوها، فيجب ألا نزيد في هذه الألفاظ على ما نزل به الوحي، بل ننطق بها كما وردت.

ولا يعد هذا جفاء ولا غمطًا لحقه ﷺ؛ فإن أصحابه كانوا أعرف الناس بقدره، وأشهدهم حبًّا وتعظيمًا له، ومع ذلك لم يؤثر عنهم زيادة لفظ السيادة، لا في الأذان ولا في غيره.

ولما قالوا له: إن الله أمرنا أن نصلي عليك؛ فكيف نصلي عليك؟ قال: «**قولوا: اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد**».

وقد حذر أمته من أن تغلو فيه، وقال: «**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم وإنما أنا عبد؛ فقولوا: عبد الله ورسوله**».

ولكن الشياطين تستجري الناس وتُزين لهم البدع، حتى تصرفهم عن صراط الله المستقيم، نسأل الله أن يعافينا بمنه وكرمه.

* * *

سؤال: هل تجوز الصلاة وراء إمام طائفي؟

الجواب:

إذا كان الإمام ينتمي إلى طائفة من طوائف البدع والضلالة كطرق الصوفية، وأهل الكلام وهو مُصِرٌّ على بدعته ومعلن بها، فلا تجوز الصلاة خلفه، بل لا يجوز الجلوس إليه، ولا إلقاء السلام عليه حتى ينزع عن بدعته.

❊ ❊ ❊

سؤال: اطلعت على سؤال يقول صاحبه: هل تجوز الصلاة خلف إمام طائفي، وقلتم أنه لا تجوز الصلاة خلفه، فما الحكم إذا كانت جميع المساجد يؤمها الطائفيون، وكيف يصلي الجمعة إذا كان إمام ذلك المسجد طائفيًّا وكذلك أهل المدينة التي يسكنها، فهل الصلاة في مثل هذه المساجد باطلة، وإذا كان الشيخ الذي يؤم أهل المسجد له بدع كثيرة، وأذكار، فهل يصح لي أن آخذ من أذكاره؟ نرجو الإفادة.

الجواب:

وردت آيات وأحاديث كثيرة في ذم البدع والأهواء والتنفير منها ووجوب مقاطعة أهلها، فمن الآيات قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران:١٠٥-١٠٦].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «تبيض وجوه أهل السنة، وتسود وجوه أهل البدعة».

ومنها: قوله سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا

﴿أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام:١٥٩]. فالصحيح أنها نزلت في أهل الأهواء من هذه الأمة.

وأما الأحاديث: فمثل قوله ﷺ في الحديث المشهور: «**افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة؛ كلهم في النار إلا واحدة.** فقالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: **من كان على ما أنا عليه اليوم وأصحابي**».

ومثل قوله ﷺ فيما روته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**».

وفي رواية: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**».

ومثل قوله في حديث العرباض بن سارية: «**فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ؛ وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة**».

وقد ورد أيضًا أن أهل البدع كلاب أهل النار، وأن الله لا يقبل من ذي بدعة عملاً حتى ينزع عن بدعته، وأنه احتجز التوبة عن كل صاحب بدعة.

فهذا كله يوجب على المرء المسلم المتمسك بالكتاب والسنة أن يهجر أهل البدع الذين يدعون إلى بدعهم، وألا يركن إليهم حتى لا تسري إليه عدواهم، لاسيما إذا كانت بدعًا شركية، كبدع القبوريين ومشايخ الطرق، الذين يدعون غير الله، ويتخذون أرباب الأضرحة وسطاء بينهم وبين الله.

وكبدع أهل الغلو الذين يزعمون أن النبيﷺ أول الخلق أو أنه خلق من نور الله، أو أن السموات والأرض وجميع الكائنات خلقت من أجله، أو أنه نور عرش الله ... إلى آخره.

وكبدع أهل التعطيل الذين ينفون عن الله ﷻ ما وصف به نفسه، ويصرفون ما ورد فيها من الآيات والأحاديث عن ظاهرها بتأويلات غير سائغة.

وكذلك أهل التمثيل الذين يشبهون الله بخلقه.

فمثل هؤلاء جميعًا لا تجوز الصلاة خلفهم، ولا الجلوس إليهم، ولا سماع حديثهم حتى ينتهوا عن بدعهم، ويعلنون توبتهم منها.

وأما الخلاف في الأمور العملية الاجتهادية؛ كالخلاف بين الأئمة الأربعة وغيرهم، هذا أمره هين؛ إذ المخطئ فيها معذور وله أجر، والمصيب له أجران، وهو خلاف لا يوجب القطيعة والهجران، والله أعلم.

❊ ❊ ❊

سؤال: ما حكم الصلاة وراء من يؤول أحاديث الصفات، وآيات الصفات ويحملها على خلاف الظاهر منها؟

الجواب:

ورد القرآن الكريم والسنة الصحيحة بإثبات صفات الله ﷻ مثل: الاستواء على العرش، والعلو على جميع الخلق، والوجه واليدين والنزول إلى السماء الدنيا، والتكلم والنداء، والمجيء، والإتيان، والدنو، والقرب، والفرح، والضحك، والرضا،

والغضب، والمحبة، والكراهية ... إلى آخره مما ورد من تلك الصفات.

فأهل السنة والجماعة من الصحابة والتابعين لهم بإحسان وأئمة الهدى من بعدهم في كل عصر وزمان لا يردون من ذلك شيئًا، ولا يتكلفون تأويله بما يخرجه عن معناه، ولا يحرفون الكلم عن مواضعه.

بل يثبتون لله ﷻ كل ما أثبته لنفسه، وكل ما أثبته له رسوله ﷺ بلا تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، ويعتقدون أن كل ما ورد به الخبر الصحيح من هذه الصفات فهو ثابت لله على الحقيقة على الوجه الذي يليق بذاته، والذي لا يشبه صفة المخلوق.

ولا يلزم عندهم من إثبات هذه الصفات تشبيه أصلًا؛ فإن الصفات تبع الذات، فكما لا تشبه ذاته الذوات فكذلك لا تشبه صفاته [الصفات].

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١].

وبناء على ذلك: فكل من أوَّل آيات الصفات وأحاديثها وعطل ذات الرب سبحانه عن الاتصاف بها بغير دليل ولا حجة، إلا ما وقر في عقله المريض من إفضاء إثباتها إلى التشبيه، فهو زائغ عن الحق، ومتبع غير سبيل المؤمنين، وداعٍ إلى بدعة شنيعة ذمها سلف هذه الأمة وحذروا منها.

فمثل هذا المبتدع لا تجوز الصلاة وراءه حتى ينزع عن بدعته ويعلن توبته.

❋ ❋ ❋

سؤال: ما حكم من يدعو الناس إلى عقيدة التعطيل ونفي الصفات ويكفر القائلين بالإثبات؟

الجواب:

وأما حكم من يدعو الناس إلى عقيدة التعطيل ونفي الصفات ويزيد في توقحه وجرأته على الله فيكفر أهل الحق والإثبات المتمسكين بالنصوص الصريحة؛ فهذا إن كان له شُبه فيما يدعو إليه فيجب إزالة شبهته، ويبين له الحق الذي دل عليه الكتاب والسنة وإجماع السلف وفطرة العقل، فإن تاب بعد ذلك ونزع، وإلا فهو في نظر كثير من السلف كافر.

فقد روى الحاكم في كتاب: «علوم الحديث» له عن أبي بكر بن خزيمة أنه قال: «من لم يقر بأن الله على عرشه استوى فوق سبع سمواته، وأنه بائن من خلقه؛ فهو كافر يستتاب، فإن تاب وإلا ضربت عنقه، وألقي على مزبلة؛ لئلَّا يتأذى بريحه أهل القبلة وأهل الذمة».

وحكى الخلال في كتابه: «السنة» عن الإمام أبي عبد الله أحمد بن حنبل وقد سئل عمن قال: إن الله تعالى ليس على العرش، فقال: «إن كلام هؤلاء كله يدور على الكفر».

وكان عبد الله بن مبارك إمام خراسان يقول: «إنا لنحكي كلام اليهود والنصارى ولا نستطيع أن نحكي كلام الجهمية».

وروى البخاري عن شيخه نعيم بن حماد أنه قال: «من شَبَّه الله تعالى بخلقه كفر، ومن أنكر ما وصف الله تعالى به نفسه كفر، وليس ما وصف الله تعالى به نفسه

ولا رسولهﷺ تشبيهًا».

ويطول بنا القول لو أردنا استقصاء ما قاله أئمة السنة -رحمهم الله- في ذم هؤلاء الجهمية المعطلة، وتحذير الناس من بدعتهم، والحكم عليهم بالمروق والإلحاد.

فنسأل الله أن يعافينا مما ابتلاهم به، وأن يثبت قلوبنا على عقيدة الحق التي نطق بها تنزيله، وصرح بها رسوله، وأجمع عليها سلف هذه الأمة الذين هم أكملها إيمانًا وعلمًا، وأبرها قلوبًا، إنه ولي المؤمنين.

* * *

سؤال: يقول صاحب كتاب الدين الخالص: إن من يعتقد أن الملابس تقيه الحر أو البرد بطبعها فقد كفر، أو بقوة خلقها الله فيها فقد فسق، وكذا النار والماء إلى آخره، نرجو الإفادة عن ذلك؟

الجواب:

لقد جنى علم الكلام على عقيدة هذه الأمة جناية كبرى، وأدخل فيها من عناصر الزيغ والفساد ما لا يحصيه إلا الله، لاسيما بعد ما اتصل المملون بالثقافات الأجنبية، ونقلوا إلى لغتهم نظريات فلاسفة اليونان وغيرهم من عباد الأوثان، ومزجوها بعلم الكلام.

ومن أخطر تلك النظريات الفلسفية القديمة التي أثرت أبلغ التأثير في عقائد فرقتين كبيرتين من فرق المتكلمين، وهما الأشعرية والمعتزلة، نظرية يقال لها: نظرية الجوهر الفرد.

فهذه النظرية لعبت دورًا كبيرًا جدًّا في مذهب الأشعرية، فقد جعلوها عمدتهم في إثبات حدوث العالم، ومن أجلها أنكروا تأثير الأسباب في مسبباتها، لأن هذه الجواهر عندهم متشابهة الطبيعة لا يتميز بعضها عن بعض إلا بما يخلقه الله فيها من الأعراض.

فلا فرق بين الماء والنار في الطبيعة والجوهر عندهم، ولكن الله يخلق في النار الإحراق، ويخلق في الماء الرطوبة، فالنار عندهم لا تحرق بذاتها، والماء كذلك لا يروي بذاته، وليس هناك أسباب عندهم تؤثر أسبابها، وإنما يخلق الله المسبب عند مقارنة السبب له من غير تأثير له فيه.

وهذا جهل لحكمة الله عز وجل في الخلق، واتهام له سبحانه بالعبث، حيث يخلق أسبابًا ثم يعطلها.

وإنكار لصريح القرآن الذي يقول: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَـٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ﴾ [الأعراف:٥٧].

فالله تبارك وتعالى هو خالق الأسباب، وهو الذي جعلها أسبابًا، فتأثيرها إنما هو بإذنه وحكمته.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «إن محو الأسباب أن تكون أسبابًا تعبير في وجوه العقل والإعراض عن الأسباب بالكلية قدح في الشرع، والله سبحانه خلق الأسباب والمسببات، وجعل هذا سببًا لهذا، فإذا قال القائل: إن كان هذا مقدورنا حصل بدون السبب وإلا لم يحصل، وليس مقدورنا بدون السبب»، والله أعلم.

سؤال: يقول السائل: سألني أحد الزملاء؛ وقال: من الذي خلق الله، فهو خلق كل شيء، ولكن من الذي خلقه؟ فقلت له: السؤال عنه بدعة، ولا يعلم الجواب عنه إلا هو.

الجواب:

صح عن رسول اللهﷺ أنه قال: «**لا يزال الناس يتساءلون حتى يقول قائلهم: هذا خلق الخلق فمن خلق الله؟ فمن وجد من ذلك شيئًا فليستعذ بالله ولينته**».

وروي من طريق آخر بزيادة: «**فإذا قالوا ذلك فقولوا: الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، وليتفل على يساره وليستعذ بالله من الشيطان**».

وكذلك صح عنهﷺ أنه أرشد من ابتلي بشيء من وسوسة التسلسل في الفاعلين إذا قيل له: هذا الله خلق الخلق، فمن خلق الله؟ يقرأ قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد:٣].

فهذا السؤال هو ما يلقيه الشيطان في القلب للإثارة والتشكيك فيجب أن نقابله بما علّمنا النبيﷺ من الاستعاذة وتلاوة ما ذكر من الآيات.

* * *

سؤال: ما الحكم في زيارة قبور الأولياء، مع العلم بأن المقصود من الزيارة تذكر الموتى والعمل بعملهم؟

الجواب: ليس هناك في الإسلام شيء يسمى قبور الأولياء؛ فإن أحدًا لا يستطيع أن يجزم بولاية أحد بعد موته لأنه لا يدري ما مات عليه، اللهم إلا من ورد الخبر

الصحيح عن رسول الله ﷺ بأنه من أهل الجنة وبأنه مغفور له أو مرضي عنه، كالعشرة المبشرين بالجنة، وعبد الله بن سلام، وثابت بن قيس، وأهل بدر، وأهل بيعة الرضوان، وجميع المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان.

وأما عدا هؤلاء فلا يمكن القطع له بأنه من أهل الجنة أو من أهل النار، وبذلك لا نعرف إن كان وليًّا لله أم للشيطان.

وأما إن قصد بالزيارة غرضًا صحيحًا كالاعتبار بحال الميت والدعاء له؛ فلا بأس بها، بشرط ألا يشد الرحل إلى القبر، وألا يزيد على ما كان الرسول ﷺ يعلم أصحابه إذا زاروا القبور أن يقولوه؛ وهو: «**السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنَّا إن شاء الله بكم لاحقون؛ اللهم لا تحرمنا أجرهم ولا تفتنا بعدهم، نسأل الله لنا ولكم العافية**».

وأما زيارة هذه الأضرحة التي منها قبور الأولياء؛ فهي حرام، لأنه يرتكب عندها كثير من البدع الشركية التي يتفتت لها قلب المسلم؛ فهذه القباب العالية والمقاصير المزخرفة، والصناديق المكسوة بالستائر والبسط المفروشة، والعطور الفواحة والأنوار المتلألئة، وصناديق النذور الموضوعة بجانب الضريح..

ثم ما يفعله الزائرون من تقبيل الأعتاب، والتزام المقاصير، والطواف بها، والتماس البركة منها، وطلبهم من الميت النظرات والوسيلة والمدد، وإحالتهم عليه المشكلات والمعضلات ....

كل ذلك مما يجب أن ينزه المسلم سمعه وبصره عنه وإلا كان شريكًا للناس فيما يرتكبون من ذلك؛ نسأل الله أن يعافينا من هذا البلاء بمنه وكرمه.

سؤال: ما هو تفسير قولنا: صلى الله عليه وسلم؟ وكيف تتم الصلاة؟

الجواب:

معنى قولنا عند ذكر رسول الله: **صلى الله عليه وسلم**: هو دعاؤنا له بأن يصلي الله عليه ويسلم.

ومعنى صلاة الله ﷻ على نبيه: ما ورد عن أبي العالية: هو ثناؤه عليه في الملأ الأعلى.

ومعنى تسليمه عليه: أن يحييه بالسلام، وأن يسلمه من كل أذى ومكروه.

واختلف في وجوب الصلاة عليهﷺ؛ فقيل: تجب في العمر مرة؛ لأن امتثال الأمر يتحقق بذلك.

وقيل: بل تجب في كل صلاة في التشهد الأخير؛ لأمره ﷺ بذلك.

وقد ذهب إلى هذا الرأي جمهور كبير من السلف منهم عمر، وابنه عبد الله، وابن مسعود، وجابر ﷺ، والشافعي، وأحمد، وإسحاق -رحمهم الله-.

وقيل: بل تجب الصلاة كلما ذكر، وهو اختيار الطحاوي والحليمي وغيرهما.

وأفضل الصيغ في الصلاة عليه: هي الصيغة الإبراهيمية التي علمها النبيﷺ لأصحابه حين قالوا: أمرنا الله أن نصلي عليك، فكيف نصلي عليك؟ فقال: «**قولوا: اللهم صل على محمد، وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم، وبارك على محمد؛ وعلى آله محمد، كما باركت على إبراهيم؛ إنك حميد مجيد**».

❊ ❊ ❊

سؤال: هل يولد الإنسان ومكتوب له ما سيفعله؟ أم أنه مخير؟

الجواب:

ورد الحديث الصحيح بـ: «**أن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة**».

وذلك: «**أن الله حين خلق القلم قال له: اكتب؛ فقال: وما أكتب؟ قال: اكتب كل ما هو كائن؛ فجرى القلم بما هو كائن**».

فكل ما يجري من أحداث وشئون، وكل ما يصدر عن الناس من أعمال الخير والشر، قد كتبه الله وفرغ منه؛ كما قال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ﴾ [الحديد:٢٢].

وكما قال: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ﴾ [التوبة:٥١].

وفي حديث ابن عباس المشهور: «**واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء كتبه الله عليك**».

وهناك كتابة ثانية عند نفخ الروح في الجنين حين يتم له أربعة أشهر: «**حيث يأمر الله الملك أن يكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي هو أو سعيد**».

وكتابة الله ﷻ لأعمال العباد لا تقتضي جبرهم عليها أصلاً، وإنما هي تسجيل لما علم الله أن العباد يفعلونه باختيارهم؛ فإن العلم الأزلي المحيط قد كشف لله ﷻ كل الأمور المستقبلية التي من جملتها أعمال العباد، فكتبها الله على الوجه الذي يتعلق به العلم.

والعلم ليس صفة تأثير حتى يكون ملزمًا للعبد بفعل معين، غاية ما في الأمر: أن ما تعلق به العلم لابد أن يقع.

وهذه الحتمية ليس معناها الجبر، بل لما كان علم الله لا يختلف فلابد أن يقع كل ما علمه واقعًا.

ولا شك أن من جملة ما تعلق به العلم هو اختيار العباد لأفعالهم الصادرة عنهم بقدرتهم وإرادتهم، فلا يصح لأحد أن يحتج بالقدر على الذنب؛ فإن الله لا يشاء من العباد إلا ما علم أنهم يشاءونه لأنفسهم، ولا يظلم ربك أحدًا.

❊ ❊ ❊

سؤال: هل هناك حظ أم لا توجد هذه الكلمة؟

الجواب:

كلمة: «**حظ**» إذا أريد منها ما قدره الله ﷻ على العبد أن يكون نصيبًا له في هذه الحياة؛ كما قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الأعراف:٣٧]. يعني: ينالهم حظهم الذي كتبه الله لهم؛ فهي بهذا المعنى صحيحة.

أما إذا أريد بالحظ: أن الأمور تجري بالصُّدفة والاتفاق أو تقدير سابق، فمعتقد هذا كافر.

فإن من أركان الإيمان: أن يؤمن العبد بالقدر خيره وشره حلوه ومره من الله تعالى، والله أعلم.

سؤال: يوجد من يقول: إن الجن خلقوا قبل آدم بأربعمائة ألف سنة، ولذلك يجعلون للجن نصيبًا من الأرض المزروعة، وقد يعتقدون أن الأرض كلها للجن لأنهم خُلقوا قبلهم، فهل يجوز هذا؟

الجواب:

نحن نعلم أن الجن خلقوا قبل آدم؛ لقوله تعالى: ﴿وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ﴾ [الحجر:٢٧]. ولكننا لا نعرف المدة التي سبق بها الجن آدم، ليس في الكتاب ولا في السنة تحديد تلك المدة.

أما من يجعل أرضه المزروعة أو مما رزقه الله من الأنعام نصيبًا للجن، فهو مشرك عابد للجن، فهو يريد بفعله هذا التقرب إليهم واتقاء سخطهم، كتلك النذور التي يتقرب بها القبوريون إلى أصحاب الأضرحة، يعتقدون أنها تجلب لهم الرزق والبركة وتدفع عنهم الأذى.

قال الله تعالى من سورة النحل: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ ۗ تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ﴾ [النحل:٥٦].

أما من يزعم أن الأرض كلها للجن لأنهم خلقوا قبلنا؛ فعليه أن يرحل منها وليبحث له عن أرض أخرى، مع أن الأرض خلقت أصلاً لآدم وذريته.

كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ۗ﴾ [الأعراف:١٠].

*** *** ***

سؤال: هل هناك طائفة دينية تسمى الوهابية؟

الجواب:

ليس هناك طائفة بهذا الاسم، وإنما هو لقب يشنع به أهل الباطل على أنصار الحق والتوحيد بنسبتهم إلى الشيخ محمد بن عبد الوهاب -يرحمه الله-، وهو إمام كبير من أئمة الإصلاح الديني ظهر في بلاد نجد؛ فدعا إلى تجريد التوحيد وإحياء مذهب السلف، وناصره آل سعود في دعوته حتى قضى على جميع البدع الشركية كدعاء المقبورين والغلو في تعظيم المخلوقين، وأعاد ربوع نجد كلها إلى حظيرة التوحيد الخالص -رحمه الله وأجزل مثوبته-.

❊ ❊ ❊

سؤال: ما معنى قول الله -تبارك وتعالى-: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ [الحديد:٣]؟ **نرجو بيانًا شافيًا.**

الجواب:

ورد في الحديث الصحيح أن النبيﷺ كان يقول في دعائه: «**اللهم رب السموات ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء، فالق الحب والنوى، منزل التوراة والإنجيل والقرآن، أعوذ بك من شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها، أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عني الدين وأغنني من الفقر**».

فتضمن هذا الدعاء العظيم تفسير هذه الأسماء الأربعة أحسن تفسير وأبينه، وقد ورد التفسير من المعصوم -عليه صلوات الله وسلامه-، فليس لأحد بعده مقال.

غير أنا نزيد الأمر بيانًا فنقول: إن هذه الأسماء الحسنى الأربعة دلت على إحاطته سبحانه بجميع الأزمنة والأمكنة؛ الأول والآخر دالّان على الإحاطة الزمنية حيث إنه الأول قبل كل شيء، والآخر بعد كل شيء.

والظاهر والباطن دالّان على الإحاطة المكانية حيث إن الظاهر؛ أي: العالي الذي فوق كل شيء، والباطن؛ أي: القريب الذي ليس دونه شيء، بل هو أقرب بعلمه وقهره وحكمه إلى كل شيء من نفسه، فاسمه تعالى الباطن دالٌّ على وصول علمه إلى كل خفي وإحاطته به، بحيث لا يفوته منه شيء.

وإذن؛ فلا تعارض أصلاً بين اسمه الظاهر واسمه الباطن؛ فإن الأول دالٌّ على جميع خلقه، والثاني دال على وجوده بعلمه مع كل شيء من خلقه، والله تعالى أعلم.

❋ ❋ ❋

سؤال: أمرنا الله أن نصلي على النبيﷺ، فكيف نصلي عليه؟ وما مقدار العدد الذي نصلي عليه به؟ وهل ورد في الشرع عدد معين عن ذكر الله في اليوم الواحد غير الثلاث والثلاثين التي هي: سبحان الله والحمد لله والله أكبر؟

الجواب:

وردت في الصلاة على رسول الله ﷺ صيغ متعددة وكلها صحيحة، فيجوز الصلاة عليه بأية واحدة منها.

ونحن هنا نذكر بعض هذه الصيغ بأدلتها:

١- عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: لقيني كعب بن عجرة فقال: ألا أهدي لك هدية؟ إن النبي ﷺ خرج علينا فقلنا: يا رسول الله، قد علمنا الله كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك؟ فقال: «**قولوا: اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد؛ كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم؛ في العالمين إنك حميد مجيد**». وهذا الحديث أخرجه البخاري في غير موضع بألفاظ مختلفة، ومسلم، وأبو داود، والنسائي، والترمذي، وابن ماجه.

٢- روى مالك في الموطأ: عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم، عن أبيه، عن عمرو بن سليم الزرقي، أنه قال: أخبرني أبو حميد الساعدي أنهم قالوا: يا رسول الله، كيف نصلي عليك؟ فقال: «**قولوا: اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم؛ إنك حميد مجيد**».

٣- روى مالك أيضًا عن نعيم بن عبد الله المجمر، عن محمد بن عبد الله بن يزيد أنه أخبره عن أبي مسعود الأنصاري، أنه قال: أتانا رسول الله ﷺ في مجلس سعد بن عبادة فقال له بشير بن سعد: أمرنا الله أن نصلي عليك يا رسول الله فكيف نصلي عليك؟ قال: فسكت رسول الله ﷺ حتى تمنينا أنه لم يسأله ثم قال: «**قولوا: اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على آل إبراهيم، في العالمين إنك حميد مجيد**».

وأما القدر الذي يجب عليه في الصلاة كل يوم؛ فمن قال بوجوب الصلاة عليه في التشهد الأخير كما ذهب إليه الشافعي وابن المواز، واختاره الطحاوي من

الحنفية، وأبو بكر بن العربي من المالكية، واحتج له الإمام ابن القيم الجوزية في كتابه جلاء الأفهام.

وكذا اختار الشوكاني في شرح المنتقى، وقال: وإليه ذهب عمر وابنه عبد الله، وابن مسعود، وجابر بن زيد، والشعبي، ومحمد بن كعب القرظي وغير هؤلاء.

فعلى هذا الرأي -وهو الصحيح المعوَّل عليه إن شاء الله- تجب الصلاة عليه سبع عشرة مرة كل يوم وليلة.

وفيما عدا هذا فالصلاة عليه من أفضل القربات، وهي مستحبة بل سنة مؤكدة عقب الأذان، وكلما ذكر اسمه أو كتب.

وفي الحديث: «**من صلى علي مرة، صلى الله عليه بها عشرًا**».

❊ ❊ ❊

سؤال: بعض الناس يحددون الذكر بعدد مثلاً من قال: لا إله إلا الله ألف مرة، أو قال: الصلاة على الرسول ﷺ ألف مرة؛ وجد كذا وكذا أو حرم جسده على النار، فهل أشار الرسول ﷺ إلى شيء من ذلك.

الجواب:

وأما الأذكار التي وردت في الشرع محددة بعدد: فهي التسبيح والتحميد والتكبير دبر كل صلاة ثلاثًا وثلاثين.

وقوله بعد صلاة الصبح وصلاة المغرب: «**لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير**». عشر مرات.

وقولك بعدهما: «ربي أجرني من النار» سبع مرات.

وقولك إذا أصبحت وإذا أمسيت: «**سبحان الله العظيم وبحمده**» مائة مرة.

والقاعدة في هذا: أنه إذا ورد الذكر في الشرع محددًا بعدد وجبت مراعاة ذلك والاقتصار على العدد الذي حدده الشرع، وليس لأحد بعد ذلك أن يحدد من عنده شيئًا من الذكر ولا الصلاة على رسول الله ﷺ كما يفعل شيوخ الصوفية مع مريديهم، ويسمونها الوظائف، فكل ذلك بدع محدثة وهي ضلالة في النار.

❋ ❋ ❋

سؤال: **هل قال الرسول ﷺ بأن في الإسلام بدعة حسنة، وأشار إليها، وإذا لم يقر الرسول البدعة الحسنة؛ فما الحكم فيمن يقول: إن في الإسلام بدعة حسنة مثل: كتابة المصحف والتنبيه الذي قبل الأذان للصلاة، وصلاة التراويح؟**

الجواب:

وأما من زعم أن هناك بدعة حسنة، وأن الرسول ﷺ قال ذلك أو أشار إليه؛ فهو كاذب عليه، كيف وهو القائل: «**إياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة**».

وإنما قال ﵇: «**من سن سنة حسنة كان له أجرها، وأجر من عمل بها لا ينقص ذلك من أجور الناس شيئًا، ومن سن سنة سيئة كان عليه إثمها، وإثم من عمل بها لا ينقص ذلك من آثام الناس شيئًا**».

والمراد بالسنة هنا: الطريقة من طرق الخير أو الشر التي يقتدى به فيها، كما

يشهد لذلك سبب الحديث.

فقد ورد أن جماعة من مضر جاءوا وعليهم ثياب النمار، فشق ذلك على رسول الله ﷺ فحث على الصدقة ورغب فيها، فذهب رجل من الأنصار فأتى بِصُرَّة كاد يعجز عن حملها أو قد عجز، فوضعها بين يدي الرسول ﷺ فَسُرَّ بذلك وتتابع الناس، حتى وجد كومان من ثياب وطعام، فقال النبي ﷺ هذا الحديث.

وليس المراد بذلك البدعة في العبادة أصلاً؛ فإن الله إنما يعبد بما شرع، ولا يُعبد بالأهواء والبدع.

وأما كتابة المصحف: فهو ليس بدعة؛ بل هو قيام بما أوجبه الله ﷻ علينا من حفظ القرآن وصيانته عن التحريف والتبديل الذي وقع للكتب السابقة، وكان الرسول -عليه الصلاة والسلام- يأمر بكتابة ما نزل من القرآن، وكذلك جعل علامة لتدل على قبلة الصلاة في المسجد هو من هذا القبيل.

وأما صلاة التراويح في جماعة: فقد روى البخاري وغيره عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قام يصلي من الليل في رمضان، فصلى بصلاته أناس، وأنه فعل ذلك ليلتين أو ثلاثًا فلما رآهم كثروا نام ولم يخرج إليهم، ثم قال لهم: «**إنه لم يخف عليَّ صنيعكم منذ الليلة، ولكني خشيت أن تفرض عليكم**».

ومعنى هذا: أن الذي منعه من مداومة الصلاة بأصحابه هو خوفه من أن تفرض عليهم، لأن الوحي كان لا يزال ينزل، فلما قبض رسول الله ﷺ زال ذلك المانع وجاز العودة إلى صلاتها جماعة، فهذا أمر له أصل في السنة.

سؤال: إذا سأل زيد من الناس: ما الدليل على وجود الله، فقال: وجود السموات والأرض وهذا يكفي دليلاً على وجود الله، واعتبر على أنه عرف الله معرفة صحيحة، فما الدليل الكافي شرعًا؟

الجواب:

نعم، من استدل على وجود الله ووحدانيته وعلمه وحياته وقدرته ورحمته وحكمته وغير ذلك من صفاته بما يشاهد في السموات والأرض من عجائب الخلقة وبدائع الصنعة، فإن هذا يكفيه دليلاً ويعتبر أنه قد عرف الله معرفة صحيحة.

فإن هذه هي الطريقة التي أرشد إليها القرآن الكريم، فهو في معظم سوره لاسيما المكي منها يدعو إلى النظر في ملكوت السموات والأرض، ويسوق الحجج والبراهين من هذه المكونات حتى يشاهد الناس في الآفاق وفي أنفسهم.

ولعل أجمع آية لذلك قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة:١٦٤].

وأما الأدلة التي يذكرها علماء الكلام في كتبهم: فإنها لا تحصل الإيمان، بل تفسد الإيمان، وهي أدلة لا شرعية ولا عقلية، فإن القرآن الكريم لم يرشد إليها ولا نبه عليها، وهي مع ذلك لا تتسق مع الفطرة السليمة، ولا تتفق مع العقول المستقيمة.

أما أدلة القرآن: فهي أشفى وأهدى وهي تلائم جميع العقول فلا يصعب فهمها على أحد، ومن ابتغى الهدى في غيرها فلن يجد.

* * *

سؤال: ما الحكم في رجل يتعمد الصلاة بالرأس عارية، وما الحكم في رجل يتعمد أن يصلي والرأس كاسية مغطاة؟

الجواب:

لم يكن من هدي رسول الله ﷺ أن يتعمد للصلاة من حاله كشف الرأس أو تغطيتها، فكان يصلي حاسر الرأس، وأحيانًا كان يلبس عمامة على القلنسوة، وأحيانًا قلنسوة بدون عمامة، فلم يكن يتكلف للصلاة شيئًا إلا ما أمر الله به من أخذ الزينة، وهي الثياب التي تستر العورة، ومن طهارة البدن والثوب والمكان، إلى غير ذلك من الأمور المعتبرة في صحة الصلاة أو كمالها.

ومعلوم أن هديه ﷺ أكمل الهدي ونحن مأمورون بالاقتداء به، فيجب ألا نتكلف للصلاة حالة تظن أنها أفضل من غيرها؛ فإن ذلك شرع ما لم يأذن به الله.

* * *

سؤال: ما الحكم فيمن يحتفظ بصور فوتوغرافية على سبيل الذكرى، وما الحكم الشرعي في تعليق بعض الآيات القرآنية على جدران المساجد والمنازل.

الجواب:

من الأمور التي حرمها الإسلام احتياطًا للتوحيد وسدًّا لذريعة الشرك: اتخاذ الصور

والتماثيل، وقد وردت أحاديث كثيرة في هذا الباب بعضها مطلق وبعضها مقيد.

ولهذا كثر نزاع العلماء فيما يحرم ويجعل من هذه الصور، فبعضهم حرمها مطلقًا سواء كانت ذات جرم يمكن أن تحل فيها الروح أو كانت نقشًا في ثوب ونحوه كتلك الصور الشمسية التي تلتقط بواسطة الآلة المعدة لذلك.

والصحيح: أنه لا يحرم من صور الحيوان إلا ما كان على هيئة تمثيل مجسم وكان بحيث تحله الروح، وأما تلك الرقوم والنقوش والصور الظلية التي توجد في الصحف والمجلات تستعمل للأغراض العلمية فلا بأس بها إن شاء الله، إذا لم تكن ذريعة إلى محرم أو مفضية إلى تعظيم المخلوق وعبادته.

وأما كتابة الآيات القرآنية على جدران المساجد: فغير جائز؛ لأنه قد يُلهي المصلي عن صلاته، كما أنه من قبيل الزخرفة المنهي عنها بالنسبة للمساجد.

وأما كتابتها على جدران المنازل: فلا بأس إذا كانت لا تنالها الأيدي ولا يصيبها قذر، والله أعلم.

* * *

سؤال: قال رسول الله ﷺ: «أمتي لا تجتمع على الخطأ أو على الضلالة». ما مدى صحة هذا الحديث؟

الجواب:

حديث: «**لا تجتمع أمتي** -ولكن لا يظن السائل أن أمته هذه الكثرة من الناس؛ ولكن أمته المنوه عنهم هم متبعون لسنته، المهتدون بهديه، وأما المشاقون له المتبعون

غير طريقه فلا يدخلون في القصد الذي منه الحديث- **على خطأ أو على ضلالة**».

حديث مشهور، وقد وردت في معناه أحاديث صحيحة كثيرة.

قال بعض العلماء: إنها متواترة المعنى كما شهدت له بعض الآيات، مثل قوله تعالى من سورة البقرة: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة:١٤٣].

وقد ورد في تفسير الوسط أنهم عدول مزكون بالعلم والعمل.

ومثل ذلك: قوله سبحانه من سورة النساء: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء:١١٥].

وقد احتج الشافعي -رحمه الله- بهذه الآية على حجية الإجماع؛ فإنها جعلت مخالفة الإجماع -وهو سبيل المؤمنين- كمخالفة النص التي هي مشاقة الرسول، ورتب عليهما جزاءً واحدًا.

❊ ❊ ❊

سؤال: هل يصح تقليد المذاهب كما في الكتب الموجودة اليوم بأيدي المسلمين التي تتضمن أحكامًا وحدودًا ومسائل محذوفة السند اعتمادًا على قول مؤلفيها، كمذهب مالك أو الشافعي مثلاً؟

الجواب:

لا يجوز لأحد من المسلمين تقليد مذهب بعينه من المذاهب المعروفة؛ بل يجب

عليه أن يسأل عن حكم الله في المسألة، فإذا ذكر له دليله من الكتاب أو السنة فحسبه هذا وعليه أن يعمل بما قام عليه الدليل.

وجميع الأئمة -رحمهم الله- قد نهوا الناس عن تقليدهم بغير أن يعلموا من أين أخذوا.

وأما كتب المذاهب الموجودة الآن بيننا فهي وإن تضمنت بعض مذاهب الأئمة لا يجوز التعويل عليها؛ فقد زاد فيها المتأخرون ما شاء لهم الخيال من تعديلات وتفريعات.

وبالجملة، فما زالت مصادر الدين من الكتاب والسنة موجودة بيننا ويمكن أخذ الحكم منها بأسهل من الرجوع إلى كتب المذاهب، فلا يجوز لأحد أن يعدل عنها إلى غيرها، وإلا كان معرضًا عن حكم الله ورسوله.

❋ ❋ ❋

سؤال: حاج وصل مكة وأمر بطلوع عرفة ثامن رؤيته والنحر تاسع رؤيته هل يصح هذا الحج أم لا؟

الجواب:

أما من وصل إلى مكة فوجد يوم عرفة موافقًا لثامن رؤيته، ويوم النحر موافقًا لتاسع؛ فعليه أن يتبع جمهور المسلمين في وقوفهم ونحرهم ولا يعتد برؤيته، والله أعلم.

سؤال: ما رأي السنة في قراءة القرآن قبل أذان الجمعة، بحجة أن قراءة القرآن ذكر الله، وعن الأذانين للجمعة؟

الجواب:

يسن لمن راح إلى المسجد في يوم الجمعة أن يصلي ركعتي التحية، ثم إذا شاء اشتغل بصلاة النافلة حتى يخرج الإمام.

وإذا شاء اشتغل بقراءة القرآن وذكر الله والصلاة على رسول الله ﷺ في نفسه، بحيث لا يشوش على غيره؛ فقد نهى رسول الله ﷺ أصحابه أن يجهر بعضهم على بعض بالقراءة.

فما يفعله بعض الناس اليوم من قراءة سورة الكهف أو غيرها قبل الجمعة بأصوات مرتفعة مع التنغيم والتطريب ومقابلة القارئ عقب كل آية بعبارات الاستحسان والتشجيع كل ذلك مخالف لهدي رسول الله ﷺ ولما كان عليه سلف الأمة ﷺ فهو بدعة وضلالة.

وأما وجود أذانين للجمعة؛ فلم يكن معروفًا في عهد رسول الله ﷺ ولا في عهد أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ولكن عثمان رضي الله عنه لما رأى بيوت المدينة قد كثرت وتباعدت عن المسجد، ورأى الناس ربما شغلهم الصفق بالأسواق عن الاستعداد للسعي إلى الجمعة، أحدث الأذان الأول على الزوراء، ليترك الناس بياعاتهم وينقلبوا إلى بيوتهم فيستعدوا للجمعة بالغسل أو الوضوء.

فهو أذان قصد منه التنبيه على اقتراب وقت الجمعة.

كما كان بلال ﷺ يؤذن قبل الفجر بحوالي الساعة ليوقظ النائم وينبه القائم، والناس يومئذ لم يكن معهم ساعات يعرفون بها الأوقات.

وعلى هذا، لم يعد هناك حاجة الآن إلى مثل هذا الأذان، ويجب الرجوع إلى الأصل الأول، وهو الأذان بين يدي الخطيب، ثم شروع الخطيب في الخطبة عقب الأذان مباشرة بحيث لا يسمح لأحد ممن في المسجد أن يقوم للصلاة بعد الأذان.

أما من دخل المسجد فلابد أن يصلي ركعتين قبل أن يجلس ولو كان الإمام يخطب.

وحديث: «**إذا خرج الإمام فلا صلاة ولا كلام**» إن صح، فهو للذي يصلي النافلة قبل خروج الإمام؛ والله أعلم.

❊ ❊ ❊

سؤال: ما حكم الشرع في دخول السينما والمسارح وسماع المطربين؟

الجواب:

صح عنه ﷺ أنه قال: «**لعب ابن آدم حرام إلا ملاعبته زوجته وتأديبه فرسه**».

والله ﷻ يقول في سورة المؤمنين: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون:٣].

ويقول في سورة الفرقان: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان:٧٢].

ويقول من سورة لقمان: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [لقمان:٦].

ولا شك أن هذه الأمور كلها من اللغو الباطل واللهو الذي لا خير فيه، ولا يمكن أن يسلم قلب المتردد عليها أو المولع بها من حمية الشهوات والميل إلى الفواحش والمنكرات؛ ولهذا كانوا يقولون: إن الغناء بريد الزنا.

ولا يمكن أن تخلو رواية في سينما أو مسرح من صور عارية ومناظر كريهة؛ فواجب على المسلم أن ينزه بصره وسمعه عما حرمه الله عَزَّ وَجَلَّ، وألا يشغل نفسه إلا بما أباح الله له من المتع والملذات بغير إفراط ولا مبالغة.

* * *

سؤال: رجل قتل زيدًا من الناس فجاء أخو زيد هذا وقتل قاتل أخيه، فهل عليه إثم أو فدية لعدم وجود من ينفذ حكم الله فيه؟

الجواب:

القصاص حق ولي الدم؛ فمن قُتل له قتيل فهو بالخيار: إما أن يعفو وإما أن يرضى بالدية، وإما أن يطلب القصاص؛ فليس للحاكم أن يجبره على العفو أو الرضا بالدية، إلا أن يكون أولياء الدم جماعة فعفا بعضهم أو رضي بالدية فيسقط حق الباقين في القصاص.

فإذا قامت البينة على أن فلانًا هو قاتل أبيه ولم يأخذ له ولي الأمر في القصاص: جاز له أن يأخذ حقه بيده بشرط ألا يقتل أكثر من القاتل؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّي ٱلْقَتْلِ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا﴾ [الإسراء:٣٣]. والله أعلم.

سؤال: هل تجوز صلاة الجمعة باثنين: إمام ومأموم؟

الجواب:

تجوز صلاة الجمعة بأقل ما تجوز به الجماعة؛ فيكفي فيها إمام ومأموم.

أما تحديد العدد الذي تجوز به الجمعة باثني عشر رجلاً أو بأربعين أو بثلاثة سوى الإمام أو نحو ذلك، فلا دليل عليه، وإنما هي أقوال للفقهاء، عفا الله عنا وعنهم.

* * *

فهرس الموضوعات

